الفصل الأول
مفهوم الإرهـــاب

ويشمل:

- تاريخ الإرهاب.
- تعريف الإرهاب والعنف والتطرف.
- جذور الإرهاب فى المجتمع العربى.
- الدور البريطانى والأمريكى.
- الإرهاب فى مصر قبل وبعد الجمهورية.

الإرهـاب كلمـة فرضـت نفسـها علـى حيـاة البشـر، أو فرضهـا البشـر علـى أنفسـهم منـذ حوالـى خمسـة عقـود مـن الزمـان، فـلا يخلـو خبـر فـى وسـائل الإعـلام المختلفـة مـن هـذه الكلمـة.. ولا يخلـو حديـث بـين النـاس منهـا أيضـا..

فهـى تحمـل العديـد مـن المعانـى وكافـة أوجـه الصـور، بـل أصبحـت مؤثـرة فـى حيـاة الشـعوب، فالحـوادث الإرهابيـة تسـتهدف كل أبنـاء الوطـن مـن رجـال الأمـن والجيـش وكافـة أطيـاف الشـعب مـن المواطنـين الأبريـاء.

وأصبـح التصـدى للإرهـاب ومواجهتـه عنصـرا أساسـيا فـى سياسـات الـدول والحكومـات التـى وضعـت اسـتراتيجيات عاجلـة وآجلـة لمواجهتـه بكافـة صـوره والتـى تتمثـل فـى المواجهـات الأمنيـة والفكريـة وضـرورة تكثيـف الـدور الأمنـى بالتعـاون بـين السـلطة والمجتمـع المدنـى لـردع كافـة العناصـر التكفيريـة وصـد ومنـع أى محـاولات تهـدف الـى زعزعـة أمـن واسـتقرار الوطـن.

ولهـذا فـإن دور مؤسسـات المجتمـع المدنـى والنقابـات المهنيـة ومراكـز الشـباب هـو توعيـة الشـباب والحـوار معهـم ووضـع لغـة حـوار مجتمعيـة تتضمـن كيفيـة وضـع أسـس وقواعـد راسـخة لبنـاء دولـة قويـة مسـتقرة.

ولـن يتـم ذلـك إلا بالتعـاون بـين الجميـع للقضـاء عليـه واسـتئصاله ليسـود الأمـن والطمأنينـة بـين أفـراد المجتمـع.

لأن الإرهـاب أو التطـرف ليـس بإطـلاق الرصـاص أو العبـوات الناسـفة علـى الآمنـين والمعارضـين بـل قـد يكـون بكلمـة تـؤدى إلـى انقسـام المجتمـع ونشـوب قتـال بـين أبنائـه.

فمـن يتهـم المجتمـع بالكفـر والجاهليـة فهـو متطـرف، ومـن يحصـر الديـن فـى ارتـداء الجلبـاب وتقصيـره أو لبـس العمامـة وإطـلاق اللحيـة واسـتخدام السـواك وفـى نفـس الوقـت يحـرم العمـل فـى الحكومـة أو التعامـل معهـا أو يمتنـع عـن الدراسـة فـى مدارسـها ويعتبرهـا حرامـا، يعـد متطرفـاً.

ومن ثم فمن يستغل النقابات والمساجد في جمع التبرعات لمساعدة المسلمين فى دول أخرى رغم حاجة فقراء بلده إلى كل قرش، يعد متطرفاً.

فمن قتلوا (عثمان بن عفان) قتلوه باسم تطبيق شرع الله!! ومن خرجوا على (على) ثم قتلوه كانوا يبحثون عن تطبيق شرع الله!! ومن قتلوا الآلاف فى الجزيرة العربية تحت قيادة رجل مخابرات إنجليزى، كانوا مسلمين ويبحثون عن تطبيق شرع الله، والذين حاولوا اغتيال عبد الناصر بالاتفاق مع الإنجليز والأمريكان، كانوا يريدون تطبيق شرع الله. وقتلوا السادات من أجل شرع الله!

وما زالوا يقتلون الأبرياء ويدمرون المعابد والمساجد والكنائس فى العراق وسوريا وليبيا ومصر. يدعون أنهم يريدون تطبيق شرع الله، والله سبحانه وتعالى يقول: «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» صدق الله العظيم.

تاريخ الإرهاب

لم يكن مجرد الإنقلاب على الحاكم أو الاستيلاء على السلطة يعتبر إرهاباً بل كان يعتبر إنقلابا على الحاكم بقوة مسلحة أو غير مسلحة لتغيير شخصه. وفى أغلب الأحوال فإن من يقوم بالإنقلاب هو من القريبين من الحاكم ولديهم قدر من السلطة والقوة.

أما إذا كان الاستيلاء على السلطة قد تم بواسطة الشعب أو أغلبيته فقد يطلق عليه لفظ الثورة لرغبة الشعب فى تغيير الحاكم أو تغيير نظام الحكم.

أما وصف الإرهاب فقد يعتبر مصطلحاً سياسياً حديثاً يطلق على محاولة تقويض أو هدم نظام الدولة وجعلها دولة فاشلة أو (لا دولة).

وقد اعتاد الإنسان فى شتى بقاع الأرض أن يعيش فى حالة رعب دائم مما يراه في وسائل الإعلام وتتناقله الأخبار ووسائل التواصل الإجتماعى متوقعاً القتل والدمار فى أية لحظة وأى مكان، فلم يعد الإرهاب مقصوراً على منطقة بعينها أو زمن أو مناسبة معينة، بينما لا زالت بشاعة الحرب العالمية الثانية بكل ويلاتها ماثلة

فى المخيلة الإنسانية رغم مرور أكثر من سبعين عاما على انتهائها ولم يبقى ممن عاصروها إلا العدد الضئيل.

بيد أن ما يقلق المجتمع الإنسانى من الأعمال الإرهابية كأحد أساليب العنف السياسى، ليس هو كثرة الدماء التى تراق فى مثل هذه العمليات، وإن كانت قليلة إذا ما قورنت بأى معركة فى حرب محدودة، ولكن يأتي القلق والأنزعاج من نوعية ضحايا العمل الإرهابي.

لأنه فى حالات الحروب التقليدية فهناك قواعد تحكم المعارك فتسمح بأعمال عنيفة لا حدود لها وتقيدها بأن تكون تلك الأعمال العنيفة فى مواجهة قوة عسكرية معادية، وتحرم ارتكابها فى مواجهة المدنيين العزل، كما أنها تحرم استخدام نوعيات معينة من الأسلحة، وتلزم القوات المتحاربة فى نفس الوقت أن توفر أكبر قدر من الحماية للمدنيين والأطراف الأخرى التى تكون بعيدة عن الصراع وليس لها دخل فيه.

وبمقارنة ذلك العمل العسكرى بالعمل الإرهابى سنجد أن المدنيين والأطراف الأخرى التى خارج الصراع هم الذين يقعون ضحايا للعمليات الإرهابية، فى حين أنهم لا يعلمون شيئا عن أطراف الصراع ولا أسبابه أو دوافعه.

فهو لا يخضع لأى قواعد أو قوانين، ولا تحكمه أخلاقيات تجعله يتورع عن ارتكاب فعل ما. فيضرب الإنسان ويدمر كافة مستلزمات وعناصر حياته دون تمييز، ولا يأبه للنتائج، ولا يعنيه إلا أن يحقق هدفه من العمل الإرهابى والذى غالباً ما يكون هدفاً سياسياً.

حتى أصبح الإرهاب وسيلة للتأثير على القرار السياسى بدلا من الحرب التقليدية، حيث أن منطق القوة هو الذى يفرض الحل فى أى صراع سياسى، فنرى أن إعلان الحرب أو مجرد التهديد بها، كأن تقوم دولة بإجراء مناورات عسكرية على الحدود بينها وبين جارتها المتصارعة معها أو حتى تحريك معدات حربية أو قطع بحرية، يكون كافيا لأن تخضع الدولة الأضعف وتنصاع لإرادة الدولة الأقوى، بل إن خضوعها يصبح أمراً حتمياً!

ودائما تستطيع الدول اتخاذ قرار الحرب ولكنها حرب غير مأمونة العواقب ولا محددة النتائج ولا يملك أحد أن يتخذ قرار إنهائها ولذا فقد أصبح العمل الإرهابى هو الوسيلة البديلة للحرب التقليدية، حيث يمكن تحديد نتائج العملية الإرهابية ولو بنسبة معينة، فيمكن لدولة صغيرة ضعيفة أن تفرض على دولة قوية أن تتخذ قرارا ما كان لها أن تتخذه لولا خشيتها من العمليات الإرهابية!

ويمكن للإرهاب بما لديه من قوة أن يغير القرار السياسى فى دول كبرى بصورة أسرع من الحرب التقليدية، فتستطيع دولة صغرى لا تمتلك أدوات الحرب أو عناصر القوة أن تؤثر فى الأحداث داخل دولة عظمى عن طريق تمويل وتدعيم جماعات إرهابية تعمل داخل الدولة العظمى، فترتكب عمليات إرهابية على أنها مقاومة مشروعة ضد القهر والظلم والعدوان، ومقابلة العنف بالعنف، معتبرة ذلك دفاعاً مشروعاً عن النفس خاصة إذا لم تكن لديها وسيلة أخرى متاحة لرد العدوان.

● ولذلك فمهما كانت الدوافع التى أدت إلى ارتكاب العمل الإرهابى نبيلة وشريفة المقصد فهو فى نظر الأغلبية عمل إجرامى وجريمة ضد الإنسانية، وغاية لا تبررها أية وسيلة، وتشبه الجرائم الجنائية العادية والتي لا يؤثر الدافع فيها على أركان الجريمة التى تحققت بإرتكابها، بل أن الجريمة الإرهابية تزيد على الجريمة العادية فى أنها قد تشكل خطراً عاماً وتهديداً للأمن القومى للدولة.

فمثلاً يرى البعض أن ما يقوم به الشعب الفلسطينى ضد اسرائيل هو عمل من أعمال المقاومة للمحتل الغاصب ويحكمون بمشروعيته ويقدرون بطولة من يرتكبونه. فى حين يرى البعض الآخر أنه عمل إرهابى ضد دولة مستقرة.

وهناك طرف ثالث يفرق بين المكان الذى تم فيه العمل، فإذا ارتكب العمل داخل الأراضى التى احتلتها اسرائيل عقب عدوان يونيو ١٩٦٧ فيعتبر من أعمال المقاومة المشروعة ضد المحتل. أما إذا كان هذا العمل قد ارتكب داخل الأراضى التى قامت عليها دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ فهو عمل إرهابى ضد دولة معترف بها وهو مجرم دولياً وقانونياً ومن يرتكبه يعد إرهابياً.

وأدى هـذا الإختـلاف كمـا وضحنـا فـى المثـال السـابق إلـى صعوبـة الإتفـاق بـين الأطـراف الدوليـة علـى التعـاون لمكافحـة ظاهـرة الإرهـاب والعنـف الـذى سـاد العالـم أجمـع ويعانـى منـه المجتمـع الدولـى حيـث انتشـرت الأعمـال الإرهابيـة فـى كافـة الـدول دون اسـتثناء.

● التباين في تعريف الإرهاب:

آثارت محـاولات تعريـف الإرهـاب العديـد مـن المشـكلات أدى إليهـا اختـلاف وجهـات النظـر والآراء نحـو توصيـف الإرهـاب، حيـث ينظـر إليـه البعـض كعمـل سياسـى مشـروع، والبعـض الآخـر يـراه عمـلا إجراميـا وبذلـك فـإن الإرهابـى فـى نظـر البعـض هـو محـارب ومقـاوم مـن أجـل الحريـة فـى نظـر الآخريـن!!

وفـى عصـر السـماوات المفتوحـة والفضائيـات وثـورة تكنولوجيـا الإتصـال عبـر وسـائل التواصـل الاجتماعـي أصبـح الإرهـاب مـن أهـم الأخبـار التـى يتناقلهـا الإعـلام، واختلفـت آراء الإعلاميـين فـى وصـف المنظمـات الإرهابيـة، وذلـك بإختـلاف مواقفهـم السياسـية التـى يتخذونهـا حيـال تلـك المنظمـات، ممـا أدى إلـى اسـتخدام مشـتقات لغويـة مختلفـة لوصـف هـذه المنظمـات. فمنهـم مـن يصفهـم بأنهـم إرهابيـون أو مخربـون أو عصـاة أو منشـقون أو مجرمـون. وآخـرون يعتبرونهـم جنـود تحريـر أو محاربـون مـن أجـل الاسـتقلال و الحريـة، أو حـركات ثوريـة.

وأحيانـا نـرى مـن يصفهـم علـى أنهـم مجـرد معارضـون لنظـام الحكـم أو خصـوم سياسـيين. وقـد ظهـر الخـلاف أيضـا فـى وصـف الفعـل الـذى تقـوم بـه تلـك المنظمـات. فهـو فـى نظـر البعـض فعـل إجرامـى أو عمليـة إرهابيـة دنيئـة، وفـى نظـر البعـض الآخـر مـن أعمـال الكفـاح أو المقاومـة مـن أجـل التحريـر.

وهـذا يدفعنـا الـى التفريـق بـين الجريمـة الجنائيـة والعمـل الإرهابـى، الجنائيـة قـد تكـون موجهـة ضـد شـخص بعينـه أو مجموعـة مـن الأشـخاص، وتؤدى الـى نتائـج جسـيمة تصيـب مـن وجهـت إليهـم دون التأثيـر فـى الأمـور الحياتيـة للمجتمـع ككل حيـث انهـا لا

تحمل فى طياتها تهديدا للأمن العام أو النظام الاجتماعي أو السياسي في الدولة، وعادة ما تنتهى آثارها بارتكابها فقد حققت الهدف.

أما العملية الإرهابية فهى عملية تتخذ طريق العنف لتحقيق السيطرة وإحداث الرعب بإستخدام القوة بغرض إجبار الغير أو إرعابه بتدمير مقدراته أو الإستيلاء عليها كوسيلة تهدف إلى إفشاء حالة من الفوضى والخوف تؤدى إلى التأثير في إتخاذ قرار ما. ولذلك تستلزم فيمن يقوم بها أن يكون تنظيما قادرا على التنفيذ ويمتلك التخطيط والسلاح والتمويل لتحقيق استمرارية العنف، وإلا أصبحت العملية الإرهابية مجرد جريمة جنائية عادية.

وبما أن الهدف من العملية الإرهابية هو التأثير فى المجتمع وتقويض أركان الدولة ونظام الحكم فيها، فلا بد أن تقترن هذه العملية بهدف سياسى ترغب فى تحقيقه عن طريق العمل العنيف الذى يسفر عن ضحايا من القتلى والجرحى، فى قضية لا يعرفون عنها شيئا وليسوا طرفا بها.

الإرهاب والتطرف:

تناول كثير من الباحثين ظاهرة الإرهاب سواء بالتحليل أو التنظير لبحث أسبابه والعوامل التى تؤدى إليه، وكذلك نتائجه وما إذا كان يحقق أهدافه أم لا، وهل هو تطرف فى الفكر والعقيدة والسلوك؟ أم أن التطرف يختلف عن الإرهاب؟ ومن هنا نشأ الخلاف فلم يتفق الباحثون أو السياسيون أو حتى علماء القانون والجريمة على تعريف محدد للإرهاب. وأدى هذا إلى عدم التوصل إلى اتفاق لكيفية مواجهة ظاهرة الإرهاب أو القضاء عليه.

وإن كنا نتفق على أن التطرف هو المغالاة أو الغلو فى الأمر وعدم الثبات فيه والابتعاد عن الوسطية والخروج عن المألوف ومجاوزة الحد والبعد عما عليه الجماعة، أي أنه «تجاوز حد الاعتدال سواء كان فى العقيدة أو الفكر أو فى السلوك»

تعريف الإرهاب والعنف والتطرف:

ويمكن القول أن هناك صعوبة في تناول الظاهرة المعاصرة التي تبدو سهلة في لغة الحياة اليومية وهي ظاهرة الإرهاب التي تناولها العديد من الدارسين بالتحليل والتنظير والحقيقة أنه من المستحيل الوصول إلى تعريف مرضٍ عالمياً ومتفق عليه للإرهاب ويرجع ذلك لأسباب سياسية أكثر منها لغوية ويمكن القول إن الإرهاب هو نتاج للتطرف الفكري الذي يترجم إلى أفعال سلوكية عنيفة سوف تتضح من التعاريف المختلفة للإرهاب.

واللافت للنظر في موضوع الإرهاب الخلاف والتباين الواسع النطاق في تعريف هذا المفهوم فكل حكومة أو جماعة أو عصابة تمارس الإرهاب تعد نفسها على حق وتجعل الجهة المعارضة لها إرهابية.

وتكشف معظم المناقشات عن أسباب الإرهاب في وقتنا الراهن ما يمكن تسميته مشكلة التعريف فبعضهم يرى أن أي عنف أو أي عمل لا اجتماعي إرهاب، ويركز آخرون على خصائص التفكير لدى الثوريين أو على عنف الحكومات وبعضهم الآخر يرى أن أعمال الإرهاب تدبر بمؤامرة دولة تديرها حكومات معينة وفي كثير من الأحيان تجري المناقشات عن الإرهاب لأهداف متعارضة وقليلون هم الذين ينظرون للمسألة بتجرد كما أن قلة البيانات الدقيقة والموضوعية عن الأعمال الإرهابية قد حالت دون استخدام العقل العلمي لبحث مسألة الإرهاب بموضوعية.

فالمصادر العلمية لا توضح بشكل دقيق من الإرهابي وما الإرهاب والحقيقة أن المعجمات اللغوية تخلو من مصطلحي الإرهاب والإرهابي لأن هذين المصطلحين حديثان ولم يستخدما في العصور السابقة والإرهاب في اللغة العربية مشتق من الفعل الماضي أرهب بمعنى خوَّف والإرهاب يعني إثارة الخوف في النفوس ورَهَبَ ورهباً ورهباناً أي خاف ويقال أرهب عنه الناس بأسه ونجدته أي أن بأسه ونجدته حملا الناس على الخوف منه واسترهبه أي خوفه.

وقد وردت كلمة الرهبة في القرآن الكريم بمعنى الخشية وتقوى الله سبحانه وتعالى وفيما يلي عدد من الآيات التي وردت فيها الكلمة.

(وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) البقرة.

(تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ) الأنفال.

(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا ورهبا) الأنبياء.

وقد وردت في القرآن الكريم عدة ألفاظ تدور معانيها حول مادة الإرهاب، وهي الخوف وقد وردت مادته مائة وثلاث وعشرين مرة، ومادة الرعب وردت خمس مرات، ومادة الروع وردت مرة واحدة فقط، ومادة الفزع وردت ست مرات، ومادة الرهبة وردت ثماني مرات.

كما وردت مصطلحات أخرى تندرج ضمن الإرهاب وهي البغي والطغيان والظلم والعدوان والخيانة والغدر والقتل والسرقة والحرابة وهي صور ووسائل وأدوات هدامة تشيع الخوف في المجتمع وترهب الآمنين فيه وتعوق المسلمين من حسن خلافتهم في الأرض وحسن عبادتهم لله سبحانه وتعالى وإتقانهم لعمارة الكون ولكن هناك جريمتين من بين هذه الجرائم أبرزهما الإسلام وحدد العقوبات لهما لأهميتهما وخطورتهما على المجتمع الإسلامي وهما الحرابة والبغي.

وفي رأيي أن الإرهاب والعنف والتطرف هو أي سلوك يهدف إلى إشاعة الرعب أو فرض الرأي بالقوة والفساد والتدمير كلها صور من صور الإرهاب والعنف والتطرف كما أن ترويع الآمنين وإحداث الفوضى في المجتمعات المستقرة هو شكل حديث من أشكال الإرهاب والعنف والتطرف الذي أصبح ينمو مع شيوع الأفكار المتطرفة التي تهدف إلى إقصاء الآخر وفرض الأفكار بالقوة والتهديد بالسلاح على أن هذه الأفكار ليست محصورة بمكان أو زمان معين وإنما أصبح العالم كله مسرحاً لها.

وتبدو خطورة التطرف الفكرى عندما يتحول هذا الفكر ويترجم إلى أفعال سلوكية عنيفة تؤدي إلى نتائج كارثية ويصبح عملاً إرهابياً .. فالعمل الإرهابى هو نتيجة للفكر المتطرف سواء كان دينياً أو سياسياً أو إجتماعياً .

وتستعرض المعاجم والموسوعات قضية الإرهاب فنجد أن الإرهاب فى المعجم الوسيط هو وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والرعب لتحقيق أهداف سياسية.

أما فى موسوعة السياسة فيعرف بإنه استخدام العنف غير القانونى أو التهديد به بأشكاله المختلفة كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف بغية تحقيق هدف سياسى معين مثل كسر روح المقاومة والإلتزام لدى الأفراد وهدم المعنويات لدى الهيئات والمؤسسات أو وسيلة من الوسائل للحصول على المعلومات أو المال، وبشكل عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة أو المنظمة الإرهابية. بينما الإرهاب فى قاموس علم الجريمة فهو «نمط من العنف يتضمن الاستخدام المنظم للقتل أو التهديد باستخدامه أو الأذى الجسدى والتدبير لإنزال الرعب أو الذعر أو الصدمة بجماعة مستهدفة لإشاعة أجواء من الرعب أوسع مدى من سقوط الضحايا الذين أنزل بهم الرعب.» ويتضح مما سبق إرتباط الإرهاب بالعنف وأن الإرهاب لابد أن يجد فكراً معيناً لكى يساعد على انتشاره وهذا الفكر يأخذ نمط التطرف وإقصاء الآخر.

إن أي سلوك يهدف إلى إشاعة الفوضى والرعب لفرض رأى أو فكر بالقوة والتدمير هو عمل إرهابى، كما أن ترويع الآمنين وإحداث الفوضى فى أى مجتمع مستقر هو الشكل الحديث من أشكال الإرهاب والتطرف العنيف الذى ينمو مع شيوع الأفكار المتطرفة التى تهدف الى إقصاء الآخر وفرض الأفكار بالقوة والتهديد بالسلاح على أن هذه الأفكار ليست مقيدة بمكان أو زمان معين، وإنما أصبح العالم كله مسرحاً لها، ويكمن أساس الخلاف بين الدول فى نظرة كل دولة لتعريف الإرهاب، فحتى الآن ومنذ ثلاثينيات القرن الماضى لم تتفق دول العالم على تعريف محدد للإرهاب.

وذلك لأن «الإرهابى فى نظر البعض هو محارب من أجل الحرية فى نظر الآخرين» وبذلك فشل المجتمع الدولى فى إيجاد صيغة للتعاون فى القضاء على الإرهاب دون تحديد ماهيته وتعريفه، حتى أن المؤتمر الدولى لبحث الإرهاب والجريمة السياسية والذي عقد عام ١٩٧٣ قد انتهى إلى نتيجة مؤداها:

«أن مشكلة منع وقمع الإرهاب ترجع فى جزء منها إلى عدم وجود مفهوم واضح للأسباب التى تؤدى إلى ممارسة النشاطات التى تنشئ حالة الإرهاب»

وهو ما يفسر عجز المجتمع الدولى عن تعريف الإرهاب وماهيته، وكذلك فشل الدول فى السيطرة على النشاطات الإرهابية، ويستوي فى ذلك الدول العظمى القوية والدول الصغرى الضعيفة. ولقد ساهمت كل دول العالم الصغيرة والكبيرة فى ولادة الإرهاب وتنشئته ولم يضعوا فى اعتبارهم كيف سينمو ويكبر ويصير وحشاً لن يستطيعوا كبح جماحه أو ترويضه أو القضاء عليه!

ويرى اللواء دكتور/ أحمد جلال عز الدين «أن الإرهاب ليس مجرد عمليات مثيرة يرضى عنها البعض ويشجبها أغلب الناس، وهو ليس مجرد نشاط يثير الرعب والخوف، مثل ما يثيره الوباء أو الزلازل أو البراكين وإنما هو نمط من أنماط استخدام القوة فى الصراع السياسى وهو استخدام هادف تمارسه الجماعات السياسية أو الحكومات من أجل التأثير على حرية القرار السياسى لدى الخصوم.»

وفى كتابنا هذا سوف نسترجع بعضا من الأحداث التى ساهمت تدريجيا فى الوصول الى اتخاذ الإرهاب وسيلة للوصول إلى السلطة كهدف أساسى وإن اتخذت فى ظاهرها أسباب بريئة وإنسانية وقد مرت الأمة الإسلامية بأحداث ومواقف عديدة أضرت بها وبالدين الإسلامى إلى حد جعل المجتمعات الأخرى تصف الدين نفسه بالإرهاب وأنه يدعو إلى القتل وسفك الدماء على غير حقيقة هذا الدين الحنيف.

جذور الإرهاب في المجتمع العربى:

برز الإرهاب فى المجتمع العربى منذ عهد بعيد وبصفة خاصة عندما فطن الغرب إلى تمتع المنطقة العربية بموقع فريد بين قارات العالم حيث يمكن منها السيطرة على الممرات الحيوية فى العالم حيث تستطيع التجارة العالمية المرور بسهولة ويسر مختصرة الوقت والوقود وبالتالى توفير النفقات.

وقد فطنت الإمبراطورية البريطانية إلى ذلك وهى التى كانت امبراطورية لا تغيب عنها الشمس لكثرة مستعمراتها في أنحاء الكرة الأرضية، ولكى تستغل الموارد الطبيعية التى تتميز بها هذه المستعمرات فلابد أن تسيطر على الممرات التى تصل هذه المستعمرات ببريطانيا.

أضف إلى ذلك ظهور النفط بالمنطقة العربية حيث بدأت بشائر آبار النفط فى منطقة الخليج العربى وحول البحرين الأحمر والأبيض المتوسط. مما أثار شهية الدول الغربية لالتهام المنطقة بأسرها ومواردها الطبيعية.

ومن هنا بدأت دول أوروبا وبصفة خاصة (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا) التخطيط لتحقيق أقصى استفادة من هذه الموارد وبكل الطرق الممكنة سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة.

إبان الحرب العالمية الأولى كانت المملكة المتحدة آنذاك فى حاجة إلى إعادة ترتيب أوراقها والبحث عن مفاتيح جديدة ترسى من سطوتها فى الشرق الأوسط خاصة بعد نشأة دولة إسرائيل. وكانت المملكة المتحدة هى المسئولة فى حينه عن العراق و فلسطين، . وبذلك كان السؤال الذى لابد من إجابة فورية له هو: ما هى القوى التى يجب أن تتحالف معها بريطانيا حاليا؟!

هنا، ووفقا لما ذكره الكاتب والمؤرخ البريطانى مارك كيرتس، ظهر الإسلاميون كورقة لعب جديدة تصلح تماما لأن تكون «متاريس بريطانيا فى الشرق الأوسط للتصدى للشيوعية»

وذلك فى كتابه (التاريخ السرى لتآمر بريطانيا مع الأصوليين) والذى استقى معلوماته من الوثائق البريطانية التي أفرج عنها ورفعت عنها السرية خاصة وثائق الخارجية والمخابرات ليفضح تآمر الحكومة البريطانية مع المتطرفين والإرهابيين دولا وجماعات وأفرادا فى كل أنحاء العالم وخاصة المنطقة العربية وذلك لتحقيق مصالحها الإستراتيجية والسياسية والإقتصادية.

وعندما عادت السعودية ودول الخليج للإسلام المنضبط نتيجة لمعاناة هذه الدول من تصرفات الجماعات الأصولية والمنظمات المتأسلمة التى تغلغلت فى المجتمعات الخليجية متأثرة بالفكر الوهابى ومحاولة نشره فيها وأصبحت تهدد استقرار هذه الدول وتؤثر سلبيا فى عاداتها وتقاليدها الراسخة منذ زمن بعيد، وهى التى عرف عنها التسامح والطيبة وكرم الضيافة، إضافة إلى الترابط الأسرى العميق.

بيد أن عودة هذه الدول للإسلام الحقيقى المتسامح لم يرضى الولايات المتحدة ولن يحقق أهدافها فى السيطرة على منابع البترول، وعدم السماح لهذه المجتمعات بالخروج من دائرة الصحراء البدوية إلى الحداثة، فقررت الولايات المتحدة التدخل السريع واختراق هذا المجتمع والبحث عن منفذ يسمح لها بالتحكم فى المنطقة بأسرها ووجدت هذا المنفذ فى إمارة قطر!

ومن خلال السيطرة المخابراتية (بكل ما تعنيه من أعمال قذرة) على الأسرة الحاكمة، استطاعت أن تقيم فى هذه الإمارة الصغيرة أكبر قاعدة عسكرية أمريكية فى المنطقة وربما فى العالم، بحجة حماية الإمارة الصغيرة ومنطقة الخليج من الأطماع الإيرانية!

وأصبحت هذه القاعدة هى الحاكم الحقيقى لقطر وبدأت أمريكا فى تنفيذ المخطط الأنجلو «أمريكى لتفتيت الشرق الأوسط عامة والمنطقة العربية بصفة خاصة، بأن جعلت قطر هى خزانة تمويل المنظمات الإرهابية على مستوى العالم وهى الممول الرئيسى لكل العمليات القذرة التى تقوم بها أجهزة المخابرات الغربية.

ففى كل دول المنطقة التى عانت من الاضطرابات والانقلابات والقلاقل (ما سمى بالربيع العربى) تجد الأصابع القطرية!

وكيف لا وهى التى يتباهى حكامها بأن لهم يد فى كل هذه الفوضى! وأصبحت هذه الإمارة الصغيرة المأوى والملاذ لكل الإرهابيين والخونة والخارجين عن القانون.

بداية الدور البريطانى:

وبرز دور بريطانيا فى تمويل و تنشئة جماعات متطرفين دول ثلاث رئيسية وفاعلة فى منطقة الشرق الأوسط والعالم بأسره إما لقيمتها التاريخية أو النفطية أو العددية وهى مصر والسعودية وباكستان. وفيما يتعلق بمصر يؤرخ الكتاب لحقيقة أن الهدف الأول لجماعة الإخوان المسلمين الإرهابية هو أن تكون هناك قوة راديكالية ضخمة وكبيرة وذات شعبية تفت من عضد حزب الوفد وهو الحزب الأكبر داخل الحياة المصرية آنذاك.

وهناك تقرير للاستخبارات البريطانية فى عام ١٩٤٢، أشار إلى أن القصر (الملك فاروق) آنذاك بدأ يرى أن الإخوان مفيدون وألقى برعايته عليهم. و أشار أيضا إلى أنه فى ٨١ مايو من ذاك العام عقد موظفون في السفارة البريطانية اجتماعا مع رئيس الوزراء المصري أمين عثمان باشا نوقشت خلاله العلاقات مع الإخوان المسلمين. وتقرر أن تتكفل الحكومة المصرية بدفع المساعدات المالية السرية إلى الإخوان ، وأنها سوف تطلب عونا ماليا فى هذا الشأن من السفارة البريطانية.

بل والأكثر من ذلك، أن الاتفاق المصرى البريطانى نص على أن تزرع الحكومة المصرية عملاء موثوقين إلى صفوف الإخوان لمراقبة نشاطاتهم وتقديم هذه المعلومات إلى السفارة البريطانية.

من بين التقارير الصادمة التى كشف عنها الكتاب، ما جاء فيه أن الحكومة المصرية قدمت بالتنسيق مع السلطات البريطانية «رشاوى ضخمة» إلى حسن الهضيبي، المرشد الجديد للإخوان بعد اغتيال حسن البنا، من أجل الحيلولة دون أن تخوض الجماعة المزيد من أعمال العنف ضد النظام.

فى مذكراته حسن البنا «الدعوة و الداعية»، فإنه حصل على ٥٠٠ جنيه من الإنجليز وبنى بها مسجدا في الاسماعيلية رفض أهل المدينة الصلاة فيه باعتبار أنه بني من أموال مشبوهة. وتحديدا يمكننا القول بأن بريطانيا بدأت تمويل التنظيم منذ نشأته فى عام ١٩٢٨ وبدأت استغلاله فعليا على الأرض لتغيير دفة السياسة لتخدم مصالحها فى عام ١٩٣٨ والتاريخ يشهد على الدور الدنيء الذي لعبه الاخوان لافشال وإجهاض مباحثات الجلاء عن مصر وحرب القنال ودورهم فى حرب ٤٨ والتي زعموا أنهم شاركوا فيها بكثافة فى أنهم دخلوا فيها على استحياء لدرء القيل والقال عن أنفسهم. وأوضح أن زوج ابنة حسن البنا، وفقا للكثير من الشهادات والوثائق والروايات التاريخية، كان هو همزة الوصل بين المخابرات البريطانية والبنا. ولذا فإن المتابع لتغطية الصحافة البريطانية للقضايا المصرية خاصة السياسية والاقتصادية على وجه التحديد يدرك أن الملف المصرى لطالما كان غصة فى حلق الإعلام البريطانى الرسمى على وجه التحديد.

فلطالما ظهرت مصر على صفحات الجارديان وديلى ميرور وديلى اكسبريس وحتى الاعلام الذي ينتمي للمدرسة المحافظة مثل هيئة الإذاعة البريطانية بى بى سى على أنها نموذج القهر السياسى وقمع المعارضين وتكميم أفواه الصحفيين ومرتع الفساد و مغيبة أمنيا وفاشلة اقتصاديا. كما وأن تاريخ الصحافة البريطانية فى تناوله الملف المصرى يشهد بأنها صحافة انتقائية منحازة ولا تقدم العمل الصحفى بمنأى عن الغرض السياسى.

كما وأن التاريخ يشهد بمتانة العلاقة بين التنظيم الإرهابى الدولى والحكومة البريطانية وهى علاقة تمتد إلى النشأة والتوجيه والتمويل والتدريب.

لذلك نرى اليوم أن بريطانيا التى اكتوت بنار الإرهاب وتدخل تحالفات لحرب الارهاب و تدفع ثمن الإرهاب من ميزانيتها أرواح ابنائها ترفض إعلان جماعة الإخوان كجماعة إرهابية محظورة، بل تستضيف عددا من كوادرها على أراضيها على أنهم لاجئون سياسيون مضطهدون فى بلادهم.

إن المصلحة الخاصة كانت من الأساس في سياسة بريطانيا الخارجية، وأن المبادئ والقيم ليس لها مكان فيها، وأنها استندت في ذلك إلى سياسة «فَرِّق تَسُد»، وتقلبت في التعامل مع كل الأطراف المتضاربة، فبعد أن مولت طالبان وسلحتها انقلبت عليها، وساندت (حيدر علييف) الشيوعي السابق، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي ومن رؤساء الـ«كي جي بي» والذي أباد خصومة بوحشية، ضد معارضيه المتأسلمين، وبعد أن تآمرت مع الولايات المتحدة لإعادة الشاه لعرشه في ١٩٥٣ م بتدبير انقلاب على القائد الوطني محمد مصدق، رفضت طلبه للجوء إليها بعد إطاحة الخميني به.

وكان وزراؤها صادقين في اعترافهم بأن هذه هي سياسة بلادهم عندما قال أحدهم: إن هذا عمل لا يتسم بالشرف لكنها حسابات المصالح، وبعد عداء مرير لعدم الانحياز قالت مارجريت تاتشر وهي سياسية بريطانية، وهي أول امرأة شغلت منصب رئيسة وزراء في تاريخ بريطانيا العظمى: إن أفغانستان بلد من بلدان حركة عدم الانحياز العظيمة! وبعد إدانتها للمتمردين عادت لتقول: إن كلمة المتمردين خاطئة، وإنهم مقاتلون في سبيل التحرير، وبعد رفض الإسلام، رجعت لتقول إنه بديل جيد للماركسية، وإن الحكم الديني الإسلامي مَصد للسوفيت.

طبيعة السياسة البريطانية التي شاركتها الولايات المتحدة كثير من آثامها:

كانت بريطانيا هي المحرك والموجه للقوى المتأسلمة في تصديها للقومية والمدنية، وفي هذا خططت لاغتيال قادتها في مصر وسوريا والعراق وإندونيسيا خاصة جمال عبد الناصر وسوكارنو.

إن جميع الحروب التي اتخذت طابعاً جهادياً لعبت بريطانيا الدور الرئيسي فيها في أفغانستان للبوسنة حتى الحرب بين أذربيجان وأرمينيا حول ناجورنو كاراباخ والحرب في كشمير وفي بلدان رابطة الدول المستقلة.

إنها شجعت الملا عمر قائد طالبان على أن يوافق في محادثاته مع الأمير تركي رئيس المخابرات السعودية على تسليم بن لادن، وهو نفس ما عرضه حسن الترابي المتأسلم، ودفعت السعودية لتخصيص الملايين من الدولارات لإبادة الجيش العراقي في١٩٩١م، وشجعت بن لادن على أن يعرض على السعوديين أن تدافع قواته بعد أفغانستان عن المملكة، ولكن هؤلاء فضلوا نشر نصف مليون جندي أمريكي (كافر) للدفاع عن أرض الحرمين، ووافقت على ضم مجاهدين حاربوا في أفغانستان إلى الحرس الوطني السعودي بعد عودتهم وتولت تدريبهم، ودفعت هي والأمريكيون الشيعة في جنوب العراق للثورة على صدام حسين، ثم تخلتا عنهم، بل وقامتا بحماية قوات صدام التي سحقتهم وذبحت آلافاً منهم. كما إنها أعلنت أنها لن تربط سياسة التجارة والدفاع بقضايا حقوق الإنسان، وذلك في تعاملها مع السعودية وباكستان وغيرها من الدول التي تمتهن كرامة البشر، بل وأعلنت أن كل بلد حر فيما يفعله بمواطنيه. بل إنها قامت هي وأمريكا باختبار أسلحة جديدة فتاكة في أفغانستان لبيان مدى فاعليتها، ومن جانب آخر وردت أسلحة لم تثبت فاعليتها في حربها في فوكلاند لأتباعها المتأسلمين في حروبهم، وهربت لهم أسلحة سوفيتية حتى لا يعرف مصدرها. وأرسلت حمولة ١٠٠ طائرة من القذائف لأحمد شاه مسعود في أفغانستان وتولت تهريب المجاهدين الأفغان بأسماء مزورة لبريطانيا لتدريبهم في معسكرات هناك.

إنهم مع تزلفهم للسعوديين بل وتذللهم لهم، كانوا ينفسون عليهم أشياءهم، فيقول السفير ديلي موريس: «إنها مأساة أن تركز العناية الإلهية مع كل ما يحتاجه العالم، هذا القدر من الموارد والثروة في أيدي ناس لا يحتاجونه ويتسمون بقدر كبير من عدم المسئولية بشأن استخدامه، ويعتبرون باقي العالم موجوداً لخدمتهم». ويقول سفير بريطاني آخر عن الملك سعود: إنه «يبدو أنه ليس لديه فكره عن أن الأموال ينبغي إنفاقها على أغراض أخرى غير نزواته الشخصية، أو أن هناك حدوداً لما يمكن أن يأتي منها». كذلك يوضح الكاتب أن البريطانيين اقترحوا على وكالة المخابرات المركزية، استغلال انقسامات الأسرة لإسقاط سعود، وأنهم رغم مداهنتهم للسعوديين كانوا حريصين على إقامة علاقات بمن

يمكن أن يكونوا بدلاء لبيت آل سعود، بمن فيهم المعارضون السعوديون في لندن، رغم أن أحد سفرائهم أعلن في تعليقه على الوضع في السعودية: «أن مصالحنا تتحقق على أفضل وجه بنظام استبدادي يحافظ على الارتباط بالغرب بأكثر مما تتحقق بديمقراطية تندفع منحدرة نحو الشيوعية والفوضى».

إن البريطانيين نظروا للعرب باستمرار نظرة دونية، فكما يقول الكتاب فإن السير كونجريف يرى «إن العرب، مسلمين ومسيحيين ويهود كلهم بهائم، ومصيرهم لا يعادل حياة إنجليزي واحد». كذلك عارض تشرشل إقامة دولة نيابية عربية في فلسطين، وقال: إن العرب أقل شأناً وقدرة من اليهود. ومع ذلك، فمثالاً لعدم مبدئية البريطانيين، فإنه مع ظهور بوادر الحرب العالمية في الأفق، ومع كل استغلال بريطانيا للإسلام، الذي أشادت به مارجريت تاتشر حتى ظننا أنها ستعتنقه، فإنها لم تعتبره أبداً حليفاً استراتيجياً واعتبره تشرشل «القوة الأكثر رجعية في العالم»، ورغم تعاونها مع القوى المتأسلمة، فقد اعتبرتها دوماً معادية لها، رغم أنها ضمت جحافل من المتأسلمين وقدمت لهم مساعدات مادية ولوجستية جمة، لدرجة أن لندن سميت (لندنستان)، بل وكانت بريطانيا إبان حكمها للهند التي تضم ٢٠ مليون مسلم آنذاك، تقول إنها أكبر دولة إسلامية في العالم.

وكانت بريطانيا باستمرار تنكث وعودها للعرب، فبعد أن أوهمت الشريف حسين أنها ستنصبه خليفة للعرب بعد هزيمة العثمانيين، أخذت صف ابن سعود لأن مطالبه اقتصرت على الجزيرة العربية، رغم أنه في حربه مع حسين قتلت قواته ٤٠٠ ألف لأنها لم تكن تأخذ أسرى وهرب أكثر من مليون، وعند انتصاره شنق ٤٠ ألف وبتر أعضاء ٣٥٠ ألفاً. وبعد سب تشرشل لابن سعود قال: «إن إعجابي به لشديد لولائه لنا الذي لا يتزعزع»، بل وأرسل قوات بريطانية لضرب جزء من قوات ابن سعود المناوئين لبريطانيا الذين تمردوا عليه.

ومع ذلك لم تهمل الوثائق إنجازات الأمريكيين الذين باروا البريطانيين في هذا الصدد. فقد اعترف هؤلاء بأن جمال عبد الناصر أجبرهم على مساندة نظم ظلامية ورجعية وضارة بسمعة مؤيديها، وأنهم جعلوا القومية عدوهم الأول، ونال اليساريون الجزء الأول من اهتمامهم، فقد لعبوا الدور الأساسي في ذبح أعضاء حزب توده الإيراني في ١٩٥٣م، وفي إبادة الحزب الشيوعي الإندونيسي الذي كان يضم مليوني عضو على أيدي صديقهم سوهارتو ومن معه من المتأسلمين، كذلك فعلوا في العراق والأردن وفي أفغانستان التي كان عميلهم قلب الدين حكمتيار فيها يسلخ جلود أعدائه، خاصة اليساريين أحياء، فقد ساندوه بكل قوتهم، رغم أن الكونجرس قال إنه أكثر القادة الأفغان فساداً.

وتبرز الوثائق دور أمريكا وتابعتها بريطانيا في تأييد الدكتاتور (ضياء - وسوهارتو - والشاه وغيرهم) والملك (آل سعود - وحسين - وقابوس) وآية الله (الملالي في انقلاب ١٩٥٣ - ثم الخميني قبل أن تنقلب عليه، وكذلك ملالي طالبان قبل أن توليهم ظهرها لرفضهم توقيع عقد نفط مع شركة أمريكية). وقد أجبر الأمريكيون السعوديين على تمويل سلسلة من حروبهم ليس فقط في أفغانستان والدول العربية والإسلامية.

بل في أنجولا وزائير وتشاد والفلبين وبلدان رابطة الدول المستقلة، بل ودفع السعوديون مليوني دولار لوكالة المخابرات المركزية للحيلولة دون نجاح الحزب الشيوعي الإيطالي.

وقد جندت مخابرات أمريكا كثيرين من قادة المتأسلمين، منهم سعيد رمضان مؤسس التنظيم الدولي للإخوان.

(زوج ابنة حسن البنا) الذين يقال إنهم مولوه بمبلغ ١٠ ملايين دولار، وأجبروا الأردن على منحه جواز سفر، وورد أن أمريكا بدأت من أوائل الخمسينيات تمول الإخوان في مصر وتساعدهم في سوريا لتدبير مؤامرتين، وتعاونت معهم هي وشركة

أرامكو لتكون خلايا منهم في السعودية لمحاربة القومية العربية. كذلك تآمرت أمريكا مع المتأسلمين الذين كانوا يتحدون النظام السوفيتي في آسيا الوسطى من بين رجال القبائل. وكان دور أمريكا بارزاً في تمويل ملالي إيران وتسليحهم في انقلاب ١٩٥٣، وحتى بعدالثورة على الشاه أغدقت أمريكا بعدها على الملالي قبل أن تنقلب عليهم، بحيث راجت نكتة في طهران كما تقول أشرف بهلوي (شقيقة الشاه التوأم) بأنك إذا رفعت ذقن أحد الملالي فسترى عبارة «صنع في أمريكا».

تلك قلة من أمثلة كثيرة نستدل بها على استغلال الحلف الغير المقدس، أمريكا وبريطانيا، للمتأسلمين وتحالفهم معهم في تنفيذ استراتيجياتهم، ولكن السحر انقلب على الساحر في كثير من الأحيان، وانقلب المتأسلمون على صناعهم؛ مما أثار حرباً شعواء بين الطرفين، وجعل السعودية تعود إلى «الأسلمة المنضبطة» وتضيق على المتأسلمين فتقطع المعونة عن الإخوان وتعدم بعض المتطرفين، وتسحب جواز سفر بن لادن وتستهدفه. وقد جعل هذا بريطانيا وأمريكا أكثر حرصاً في تعاملهم مع المتأسلمين، وإن ظلت لهم اليد الطولى واستمروا في استغلالهم رغم صخب هؤلاء في إعلان العداء لهما.

صناعة بريطانية

وتؤكد الوثائق المفرج عنها أن الحكومات البريطانية، من العمال والمحافظين على حد سواء في سعيها لتحقيق ما يسمى «المصلحة الوطنية» في الخارج، تواطأت عقوداً طويلة مع القوى الإسلامية المتطرفة، بما في ذلك التنظيمات الإرهابية، فقد تسترت عليها، وعملت إلى جانبها وأحياناً دربتها ومولتها، بغية الترويج لأهداف محددة للسياسة الخارجية وغالباً ما فعلت الحكومات ذلك في محاولات يائسة للحفاظ على قوة بريطانيا العالمية التي عانت من أوجه ضعف متزايدة في مناطق أساسية من العالم؛ نظراً لعجزها عن أن تفرض إرادتها من جانب واحد وافتقارها لحلفاء آخرين. ومن ثم فالقصة ترتبط في الصميم بقصة انهيار الإمبراطورية البريطانية ومحاولة الإبقاء على نفوذها في العالم.

وقد أقامت بريطانيا مع بعض القوى الإسلامية المتطرفة تحالفاً استراتيجياً دائماً لضمان تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأساسية طويلة الأجل، ودخلت في زواج مصلحة واتحاد وثيق العرى بصورة مؤقتة مع قوى أخرى منها لتحقيق نتائج محددة قصيرة الأجل.

فقد توارد أن بعضاً من أعضاء المنظمات الإرهابية كانوا يعملون عملاء أو مخبرين لبريطانيا إبان انخراطهم في أعمال الإرهاب في الخارج. ومن الجلي أن البعض منهم كانت تحميه أجهزة الأمن البريطانية عندما كان مطلوباً من قبل حكومات أجنبية. ذلك جزء مهم لكنه صغير فحسب من صورة أكبر كثيراً تتعلق أساساً بسياسة بريطانيا الخارجية.

لا غرو في أن الزعماء البريطانيين لم يدعوا إلى قصف إسلام أباد والرياض بالقنابل أسوة بكابول وبغداد؛ حيث إن من الواضح أن الحرب على الإرهاب لا تتم بهذا القصد، وإنما هي نزاع مع أعداء حددتهم واشنطن ولندن بصفة خاصة. وقد ترك هذا قدراً كبيراً من البنية الأساسية العالمية للإرهاب سليماً لم يمس؛ مما يثير مزيداً من الأخطار بالنسبة للعامة في بريطانيا والعالم.

و من القوى الفاعلة المتأسلمة التي تواطأت معها بريطانيا هي الحركات والمنظمات المتطرفة. ومن بين أكثر هذه الحركات نفوذًا التي تظهر بوضوح (الإخوان المسلمون) التي تأسست في مصر في ١٩٢٨م وتطورت لشبكة لها تأثيرها على النطاق العالمي، والجماعة الإسلامية التي تأسست في الهند البريطانية في ١٩٤١م، وأصبحت قوة سياسية وأيديولوجية كبرى في باكستان. كما عملت بريطانيا سراً إلى جانب حركة دار السلام في إندونيسيا، والتي وفرت مرتكزات أيديولوجية مهمة لتطور الإرهاب في هذا البلد. ورغم أن بريطانياً تعاونت أساساً مع الحركات السنية في الترويج لسياستها الخارجية، فإنها لم تنفر في بعض أوقات من الحركات الشيعية .

وترجع جذور تعاون بريطانيا مع الإسلام المتطرف إلى سياسة «فرق تسد» التي اتبعت في عهد الإمبراطورية البريطانية، عندما كان المسئولون البريطانيون يسعون بانتظام إلى تعهد مجموعات إسلامية أو أفراد مسلمين للتصدي للقوى الوطنية الناهضة التي كانت تتحدى الهيمنة البريطانية. فمن المعروف أن المخططين البريطانيين ساعدوا في خلق الشرق الأوسط الحديث إبان الحرب العالمية الأولى، وبعدها تنصيب حكام في أراض وبلدان حددها المخططون البريطانيون. لكن السياسة البريطانية انطوت أيضاً على السعي إلى إعادة الخلافة في قيادة العالم الإسلامي، إلى السعودية، الخاضعة للسيطرة البريطانية، وهي استراتيجية كان لها أهمية هائلة بالنسبة لمستقبل المملكة السعودية وباقي العالم.

وبعد الحرب العالمية الثانية، واجه المخططون البريطانيون خسارة وشيكة للإمبراطورية وصعود قوتين عظميين جديدتين، لكنهم كانوا قد عقدوا العزم على الحفاظ على أقصى ما يمكن من النفوذ السياسي والتجاري في العالم. ورغم أن جنوب شرق آسيا وإفريقيا كانا مهمين بالنسبة للمخططين البريطانيين، أساساً بسبب مواردهما من المواد الخام، فقد كان الشرق الأوسط هو الذي تريد لندن ممارسة نفوذها عليه، بسبب احتياطياته الهائلة من النفط. ومع ذلك فقد ظهر فيه عدو رئيسي اتخذ شكل القومية العربية الرائجة بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر في مصر، التي سعت للنهوض بسياسة خارجية مستقلة وإنهاء اعتماد دول الشرق الأوسط على الغرب. ولاحتواء هذا التهديد، لم تساند بريطانيا والولايات المتحدة ملكيات وقيادات اقطاعية محافظة موالية للغرب فحسب، وإنما أقامتا علاقات سرية مع قوى متأسلمة، خاصة الإخوان المسلمين، لزعزعة استقرار الحكومات ذات النزعة القومية والإطاحة بها.

وذلك بحجة مناهضة الشيوعية وإظهار الإتحاد السوفيتي كقوة ملحدة تحارب الإسلام وتشكل الخطر الأكبر على الدول العربية الإسلامية، خاصة بعد أن تنامت العلاقات المصرية –السوفيتية عندما رفضت الولايات المتحدة مساعدة مصر فى بناء

السد العالى، فاضطرت مصر إلى اللجوء إلى الإتحاد السوفيتى الذى قدم عرضاً يتناسب مع إمكانيات مصر، وتنوعت أوجه التعاون فى شتى المجالات وكان التعاون العسكرى هو أشد أوجه التعاون إيلاما لأمريكا وبريطانيا، فقررتا استخدام الورقة الدينية الإسلامية للقضاء على جمال عبد الناصر.

ومع سحب بريطانيا لقواتها العسكرية من الشرق الأوسط في أواخر الستينيات، اعتبرت قوى متأسلمة مثل النظام السعودي، ومرة أخرى الإخوان المسلمون، قائمة مقامها في الحفاظ على مصالح بريطانيا في المنطقة، لمواصلة زعزعة النظم الشيوعية والقومية، أو كقوة عضلية تدعم حكومات الجناح اليميني الموالية للبريطانيين. وبحلول سبعينيات القرن الماضي، كانت القومية العربية قد هزمت فعلياً باعتبارها قوة سياسية، جزئياً بفضل المعارضة الأنجلو أمريكية لها، وحلت محلها لحد كبير قوة الإسلام المتطرف الصاعدة، والتي اعتبرتها لندن ثانية سلاحاً تحت الطلب لدحر بقايا القومية العلمانية والشيوعية في دول رئيسية مثل مصر والأردن.

وطوال هذه الفترة، وجدت جماعات جهادية ومجاهدون أفراد ملاذًا آمناً في بريطانيا، وحصل البعض منهم على حق اللجوء السياسي، مع مواصلة الانخراط في أعمال الإرهاب في الخارج. ولم تتسامح هوايتهول فحسب مع تطور «لندنستان» «العاصمة التي تعمل قاعدة ومركز تنظيم لجماعات جهادية كثيرة، بل وشجعت ذلك» حتى وإن وفر هذا «ضوءاً أخضر» بحكم الأمر الواقع لذلك الإرهاب. وأظن أن بعض العناصر، على الأقل في المؤسسة البريطانية، سمحت للجماعات المتأسلمة بأن تعمل انطلاقاً من لندن ليس فقط لأنها كانت تقدم معلومات لأجهزة الأمن، ولكن أيضًا لأنها كانت تعد مفيدة بالنسبة للسياسة الخارجية البريطانية، خاصة في الحفاظ على شرق أوسط منقسم سياسياً «وهو هدف قديم العهد للمخططين في عصر الإمبراطورية وفيما بعد الحرب» وكرافعة للتأثير على سياسات الحكومات الخارجية.

وقد اعتبرت القوة الإسلامية المتطرفة مفيدة بالنسبة لهوايتهول بخمس طرق:

- بصفتها قوة عالمية مضادة تتصدى للايديولوجيات القومية العلمانية والشيوعية السوفيتية في حالتي السعودية وباكستان.
- وبصفتها قوة عضلية محافظة داخل البلدان لدحر القوميين العلمانيين ومساندة النظم الموالية للغرب.
- وبصفتها قوة صدام تزعزع استقرار الحكومات وتطيح بها.
- وبوصفها قائم مقام قوة عسكرية لخوض الحروب.
- وبوصفها أدوات سياسية لدفع الحكومات للتغيير.

والأمر الحاسم، هو أن التواطؤ البريطاني مع الإسلام المتطرف ساعد أيضاً في الترويج لهدفين استراتيجيين جغرافيين كبيرين للسياسة الخارجية.

الأول هو ضمان النفوذ والسيطرة على موارد رئيسية للطاقة، والتي تعتبر دائماً في وثائق التخطيط البريطانية وسيلة لدعم القوى المتأسلمة والانحياز لها بصفة عامة للإبقاء على حكومات في السلطة أو تنصيب حكومات تتبع سياسات نفطية ودية تجاه الغرب.

وكان الهدف الثاني هو الحفاظ على مكانة بريطانيا في نظام مالي دولي موال للغرب. فقد استثمر السعوديون مليارات الدولارات في اقتصادي الولايات المتحدة وبريطانيا ونظمها المصرفية، وفي الترويج لهذه الاستراتيجية، تعاونت بريطانيا بصورة روتينية مع الولايات المتحدة، التي لها تاريخ مماثل من التواطؤ مع الإسلام المتطرف. وفي ضوء انهيار القوة البريطانية، تحولت العمليات الأنجلو أمريكية من أن تكون مشروعات مشتركة حقاً في السنوات الأولى التي أعقبت الحرب إلى مشروعات تشغل فيها (هوايتهول) مكان الشريك الأدنى منزلة، الذي يقدم عادة القوات المتخصصة السرية في عمليات تديرها واشنطن. وفي بعض الأوقات حلت بريطانيا باعتبارها الذراع السرية في واقع الأمر للحكومة الأمريكية، وقامت بالأعمال القذرة التي لم

تكن تستطيع واشنطن القيام بها، أو لا تريد القيام بذلك. كما تؤكد الوثائق على أن استخدام بريطانيا للقوى الإسلامية لتحقيق أهداف سياسية يسبق في تاريخه استخدام الولايات المتحدة لها، وأن ذلك يرجع لعصر الإمبراطورية. وبالمثل، فقد عملت (هوايتهول) في عالم ما بعد الحرب بصورة مستقلة أحياناً عن واشنطن وذلك لتحقيق مصالح بريطانية على نحو مستقل.

مثل مؤامرتها للإطاحة بعبد الناصر في الخمسينيات أو إقامة لندنستان في التسعينيات.

وهكذا فإنه بحلول نهاية الحرب العالمية الثانية، توافرت لبريطانيا بالفعل خبرة كبيرة في التواطؤ مع القوى الإسلامية لتحقيق أهداف معينة، في حين أدرك المسئولون البريطانيون أن هذه القوى نفسها كانت بصفة عامة معرضة لسياسة بريطانيا الإمبريالية وأهدافها الاستراتيجية، كانوا أعواناً مؤقتين في ظروف محددة لتحقيق أهداف بعينها، عندما كانت بريطانيا تفتقر إلى حلفاء آخرين أو إلى قوة كافية خاصة بها لتفرض أولويتها. وتعمقت هذه السياسة البريطانية النفعية بصورة كبيرة في عالم ما بعد الحرب حيث زادت الحاجة للأعوان في مناخ عالمي أصبح أكثر اتساماً بالتحدي بقدر كبير.

ومن ثم فقد كانت بريطانيا مستعدة في كل من إيران ومصر للتآمر مع القوى المتأسلمة، واستخدامها ثانية لتحقيق غايات إمبريالية، كجزء من ترسانة أسلحة تستخدم في العمل السري. ولم تعتبر هذه القوى حليفاً استراتيجياً، وإنما كان من المسلم به أنها معادية تماماً للبريطانيين. والمدهش أن بريطانيا لجأت للعمل مع هذه القوى وهي تعلم أنها أكثر عداء للبريطانيين من النظم التي كانت هوايتهول تحاول الإطاحة بها.

وعندما عادت السعودية ودول الخليج للإسلام المنضبط نتيجة ما عانته هذه الدول من الجماعات والمنظمات المتأسلمة التى تغلغلت فى مجتمعات الخليج

وأصبحت تهدد أمنها واستقرارها، وهى المجتمعات التي عرف عنها الطيبة والتسامح وحسن استقبال الضيف وإكرامه، فقررت الولايات المتحدة الأمريكية اختراق هذا المجتمع بيد أنها لم تجد منفذاً إلا من خلال دويلة صغيرة هى إمارة قطر، وذلك من خلال السيطرة عليها بالأساليب المخابراتية حيث سيطرت المخابرات البريطانية والأمريكية على الأسرة الحاكمة فى قطر بكل الوسائل وأخذت بزمامهم. واستطاعت الولايات المتحدة أن تقيم فى هذه الإمارة الصغيرة أكبر قاعدة عسكرية أمريكية فى العالم بحجة حماية منطقة الخليج ضد الأطماع الإيرانية!

وأصبحت هذه القاعدة العسكرية هى الحاكم الحقيقى لدويلة قطر!

وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية فى تنفيذ المخطط الغربى لتفتيت المنطقة وتقسيمها واستنفاذ مواردها، وجعلت من إمارة قطر خزانة لتمويل كل العمليات الإرهابية فى المنطقة. بل تعدت إلى مناطق أخرى من العالم، وأصبحت قطر هي الممول الرئيسي لكل العمليات القذرة التى تخطط لها أجهزة الاستخبارات في الدول الغربية، ففي كل الدول التي حدث بها ما سمى (بالربيع العربى) تجد التخطيط البريطانى والضغط والتنفيذ الأمريكى، والمال القطرى.

وأصبح حكام قطر يتفاخرون بأنهم وراء الانقلابات والاضطرابات وأنهم من أثاروا الفوضى فى المنطقة.

دور الولايات المتحدة الأمريكية

استطاعت الولايات المتحدة بالتنسيق مع بريطانيا، استخدام جماعة (الأخوان المسلمون) للعمل ضد جمال عبد الناصر، وهى الجماعة المعروف عنها أنها أم اليمين الإسلامى فى المنطقة.

كما قامت الولايات المتحدة -سراً- بتمويل أحد آيات الله والذى أسس حركة (الأنصار فى الإسلام) وهي حليف إيراني متشدد للإخوان المسلمين.

ثم بدأت الولايات المتحدة تتلاعب بفكرة الكتلة الإسلامية بقيادة المملكة العربية السعودية لمواجهة اليسار القومى الذى بدأ يتنامى فى المنطقة العربية. وأصبحت ترى التشدد الإسلامي على أنه أداة تستطيع استغلالها هجومياً ضد الإتحاد السوفيتى، خاصة فى أفغانستان ووسط آسيا حيث استغلت الولايات المتحدة سيفها الإسلامي لتسلطه على رقبة الإتحاد السوفيتى دون هوادة!

وإذا كانت أمريكا قد اقترفت أخطاء فى التعامل مع الإسلام خلال النصف الثانى من القرن العشرين فإن هذا يعود من بين أسباب أخرى إلى أنها كانت جاهلة تماما بالإسلام. فمثلاً أدى سوء تقديرها لشخصية (آية الله الخمينى) إلى وقوع المأساة المتمثلة فى عدم تقديرها لما يمكن أن تؤول إليه الحركة الإسلامية الخمينية فى إيران حق تقديرها.

ولابد أن الخسائر الفادحة التى تكبدتها أمريكا فى حروبها فى الشرق الأوسط أدت إلى أن تغير استراتيجيتها فى المنطقة، وتحذو حذو بريطانيا، بل تم التنسيق بينهما على درجة عالية سياسياً وعسكرياً للسيطرة على موارد المنطقة. فاختارت أن تحارب دول المنطقة من داخلها، بتقوية المعارضة ودعمها بكل الوسائل، لزعزعة نظم الحكم وبطرق ملتوية بما سمي (منظمات المجتمع المدنى).

ووجدت فى الجماعات والمنظمات الدينية المتطرفة ضالتها، فساعدتها وأغدقت عليها المال والسلاح لنشر الفوضى والاضطرابات داخل الدول المستقرة.

ولا عجب أن نرى جحافل (داعش) الإرهابية وهى تجتاح العراق وتستولى على ثلاثة أرباع مساحتها وعلى منابع البترول بصفة خاصة، وتبيع النفط بثمن بخس لتركيا وإسرائيل!

وكذلك تحتل مناطق شاسعة فى سوريا وأيضا مناطق البترول! وتعلن دولة إسلامية فى العراق والشام لعدة سنوات، ولا يعرف أحد من أين أتت هذه الجحافل وكيف حصلت على كل هذا السلاح والعتاد والأموال؟

وحاربت العراق وسوريا لطرد هؤلاء الإرهابيين، وكونت أمريكا تحالفاً دولياً لمحاربة داعش، وكانت الطائرات الأمريكية تقوم بأكثر من خمسين غارة فى اليوم فتقتل إرهابياً واحداً ومائة مواطن مدنى برئ!

حتى أنه تداولت مقولة بين الناس مفادها (أن الإرهابيين يشتكون من أن الأغذية التى تلقيها عليهم طائرات التحالف -أثناء الغارات- غير طازجة)

والآن وقد انتصرت القوات العراقية والسورية على جحافل داعش الإرهابية وتحررت العراق وسوريا، ولكن بعد كل هذه المعارك، نتسائل كم عدد قتلى داعش؟ هل تم أسر أحداً منهم؟ هل تبخرت قوات داعش الإرهابية؟ هل ذابت معداتهم فى الأرض؟

أم أن هناك من دبر لها خروجاً آمناً بعتادها وسلاحها إلى دولة حدودية متاخمة للعراق وسوريا؟ ومنها إلى ليبيا للإعداد من أجل الاستيلاء على الجائزة الكبرى!

وإذا كنا لم نعرف من أين أتت داعش فيقيناً نعرف كيف وأين ذهبت.

الإرهاب في مصر

إن الإرهاب فى مصر يشير لعدد من الهجمات الإرهابية حصلت فى مصر على مدنيين و سياسيين. وكانت الهجمات شديدة خصوصاً فى تسعينيات القرن العشرين، وقامت بها حركة الجماعة الإسلامية التى استهدفت «القيادات العليا السياسية» وقتلت مئات الناس فى سعيها للحصول على «تطبيق الشريعة الإسلامية فى مصر» ويعتقد أن أيمن الظواهرى وهو طبيب مصرى وزعيم جماعة الجهاد الإسلامى المصرية هو من مدبرين عمليات القاعدة وهى منظمة غير مصرية ولا تعمل من داخل مصر. وتشمل سبع مصريين من أصل ٢٢ شخصاً مسجلين بقائمة أخطر المطلوبين لمكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى.

قبل الجمهورية

فى سنة ١٩٤٣ شكلت الجماعة الإسلامية التي أسسها (حسن البنا) عام ١٩٢٨ تحت اسم الإخوان المسلمون «جهاز سرى» على شكل منظمة مستقلة للنشاط شبه العسكرى تحت السلطة المباشرة لرئيس الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا.

سنة ١٩٤٨ قتل فريق من الجهاز السرى قاضى الاستئناف أحمد الخازندار انتقاماً منه عندما أصدر «حكما قاسيا» ضد عضو من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين. اعتقاداً من الجماعة أن أحمد الخازندار أصدر حكمه بالاتفاق مع الحكومات التى كانت موالية للاحتلال الانجليزي والذى كان فى مواجهة مع الأخوان ونشاطاتهم الفدائية ضد جنود بريطانيا فى قناة السويس.

بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وهزيمة الجيوش العربية قام الجهاز السرى للإخوان بإشعال الحرائق فى بيوت اليهود فى القاهرة فى يونيه ١٩٤٨ وفى مخازن مملوكة ليهود فى يوليو فى القاهرة. وإن ذهب البعض إلى أن إسرائيل هى التي دبرت هذه الاعتداءات لإجبار اليهود المصريين على ترك مصر والهرب لإسرائيل.

بعد الجمهورية

بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة جمال عبد الناصر وإلغاء النظام الملكى المصرى وإعلان الجمهورية. حاولت بريطانيا وأمريكا احتواء النظام المصرى الجديد وترويضه ليكون تابعاً لهما فى المنطقة وذلك لضمان أمن إسرائيل والقضاء على فكرة القومية العربية التى بدأ النظام المصرى الجديد يتبناها بقوة، وظهر قائد الثورة الشاب القوى الجرئ الذى يسعى لإجلاء بريطانيا من منطقة قناة السويس الإستراتيجية، بل من كل المنطقة العربية، لذا كان من المحتم احتوائه أو قتله والقضاء عليه! ولن يتم ذلك بمواجهة مباشرة، بل بالتآمر عليه بالاشتراك مع أعدائه في الخارج، ومعارضيه فى الداخل.

جمال عبد الناصر وحادثة المنشية

وفى يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ وأثناء إلقاء جمال عبد الناصر خطابا فى ميدان المنشية بالإسكندرية قام أحد أعضاء التنظيم السرى للإخوان بإطلاق الرصاص على جمال عبد الناصر محاولا قتله وباءت المحاولة بالفشل وتم القبض عليه وبدأت حملة اعتقالات واسعة ضد الإخوان المسلمون وهرب كثير منهم الى خارج البلاد. و حكم بإعدام ستة من أبرز قادة الجماعة. وإن كان هذا لا يخلو من اتفاق بريطانى إخوانى منذ نهاية عام ١٩٥٣ للإطاحة بعبد الناصر قائد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

عملية لافون

أطلق هذا الأسم على موجة من التفجيرات اجتاحت القاهرة والإسكندرية فى صيف ١٩٥٤ وشملت التفجيرات المصالح الأمريكية والبريطانية ودور السينما والمسارح والمرافق الحكومية والخدمية لخلق حالة من الرعب فى الشارع المصرى وكذلك لاستفزاز الحكومة الأمريكية والبريطانية ضد مصر والتى كانت ثورة يوليو تثبت أقدامها بتأييد شعبي واسع النطاق.

وعندما قامت السلطات المصرية بضبط المجموعات المنفذة لهذه العمليات تبين من التحقيقات أنهم من اليهود المقيمين فى مصر وأن هذه العمليات تم التخطيط لها

بمعرفة جهاز الموساد الإسرائيلى وشارك فيها ضباط من جهاز الموساد نفسه وتحت الإشراف المباشر لإسحاق لافون وزير الدفاع الإسرائيلى. لزعزعة استقرار حكومة جمال عبد الناصر.

تنظيم ١٩٦٥ (سيد قطب)

فى هذا العام ١٩٦٥ تم اكتشاف مؤامرة قام بها الأخوان المسلمون بغرض قلب نظام الحكم واتضح من التحقيقات أن المؤامرة من تدبير الإخوانى محمد قطب وشقيقه سيد قطب.

وكان سيد قطب ممن ألقى القبض عليهم عقب محاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر في ١٩٥٤ فى ميدان المنشية بالأسكندرية وحكم عليه بالسجن وحصل على إفراج صحي وخرج من السجن فى ١٩٦٤.

وقبض عليهما ومجموعة كبيرة من أعضاء الإخوان المسلمين وبتوالى الاعترافات وما تم ضبطه من منشورات ووثائق تنظيمية وكميات كبيرة من الأسلحة كانت فى وكر بمنطقة كرداسة في محافظة الجيزة جنوب القاهرة.

وانتهت المحاكمة إلى سجن عدد كبير من أعضاء التنظيم والحكم بإعدام سبعة من بينهم سيد قطب.

ووفقاً لما قرره الأستاذ/ فريد عبد الخالق مرافق حسن البنا وعضو مكتب الإرشاد أنه عرف من سيد قطب أنه أنشأ تنظيما بعيداً عن سلطة المرشد يهدف إلى اغتيال جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية وتصفيته وقلب نظام الحكم عن طريق نسف القناطر الخيرية وبعض المنشآت والمرافق الحكومية وإثارة الذعر بين المواطنين. وعاينوا فعلاً محطات توليد الكهرباء والمنشآت التي سيخربونها ورسموا خطط تنفيذ ذلك.

ومن أقوال سيد قطب وهو في طريقه إلى غرفة الإعدام:

- للأسف الشديد لم ينجحوا فى تنفيذ عملية نسف القناطر الخيرية التي لو تمت لانتهى النظام.
- إن مشكلتى فى عقلى، أنا مفكر وكاتب إسلامى كبير والحكومة تريد القضاء على الإسلام عبر قتلى.
- تدمير القناطر ومحطات الكهرباء والمياه كان سيكون بداية الثورة الإسلامية وإنذار شديد للناس لينتبهوا من غفلتهم وسكرتهم بنظام حكم عبد الناصر.

وكثير من الكتاب وفقهاء الدين الإسلامى ينتقدون كتابات سيد قطب وأفكاره حيث استخدم لفظ الجاهلية فى وصف المجتمعات الإسلامية، كما طعن فى الصحابة رضى الله عنهم وطعن فى خلافة عثمان بن عفان وأن على بن أبى طالب أحق بها.

وبدا أنه يرسم طريقاً آخر للمسلمين بعيداً عن صحيح الدين وينصب نفسه ونفر من أتباعه للهيمنة على نظام لطريق معوجة يسمونها طريق الإسلام.

وتجاهل أنه لاستقرار الحياة فلا بد من وجود حكام يتولون أمور الناس بالدين وبالقوانين العادلة التى تقتضيها الحياة، كما ورد فى القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكيف يستقيم فى عقل إنسان أن تقوم طليعة مزعومة لتجريد الحكام جميعا من سلطانهم ولتفتح الطريق أمام طغمة من الخبثاء يوهمون الناس أنهم طليعة الإيمان!

وفى كتاب التاريخ السرى للإخوان المسلمين يقول الأستاذ على عشماوى (القيادى المنشق عن الجماعة): كان المرحوم سيد قطب لا يصلى الجمعة، وقد علمت ذلك مصادفة حين ذهبت إليه دون موعد، وكانت بيننا مناقشة ومشادة حامية وأردت أن أهدئ الموقف وقلت له هيا إلى صلاة الجمعة وقد فوجئت حين قال لى أنه يرى فقيهاً أن صلاة الجمعة تسقط إذا سقطت الخلافة وأنه لا جمعة إلا بخلافة، وكان

هـذا الـرأى غريبـاً علـى، ولكنـى قبلـت علـى اعتبـار أنـه أعلـم منـى وكان يـرى أن تربيـة العقيـدة وتصحيحهـا هـو بالإسـلام.

تنظيم الفنية العسكرية ١٩٧٤

هـو تنظيـم واسـع ومتنـوع جغرافيـاً مـن مجموعـة متحمسـة مـن الشـباب مـن تأسـيس صالـح سـرية قسـمهم إلـى مجموعـات صغيـرة علـى رأس مجموعـة الإسـكندرية، كامـل عبـد القـادر -طالـب طـب- وطـلال الأنصـاري -طالـب هندسـة، ومجموعـة بورسـعيد بقيـادة أحمـد صالـح، ومجموعـة القاهـرة والجيـزة وعلـى رأسـها حسـن الهـلاوي ومصطفـى يسـري، ومجموعـة قنـا بقيـادة محمـد شـاكر الشـريف، وأبقـى مجموعـة الفنيـة العسـكرية بقيـادة كارم الأناضولـي وباقـي الكليـات العسـكرية تحـت قيادتـه المباشـرة.

أفكار التنظيم

اعتمـد التنظيـم في أدبياتـه الرئيسـة علـى أفـكار صالـح سـرّية مؤسـس التنظيـم وفيلسـوفه والـذي يـرى أن الجهـاد هـو الطريـق لإقامـة الـدول الإسـلامية. لا يجـوز مـوالاة الكفـار والأنظمـة الكافـرة ومـن فعـل ذلـك فهـو كافـر. مـن مـات دفاعـاً عـن حكومـة كافـرة ضـد مـن قامـوا لإقامـة الدولـة الإسـلامية فهـو كافـر إلا إذا كان مكرهـاً فإنـه يبعـث علـى نيتـه. مـن اشـترك في حـزب عقائـدي غيـر إسـلامي فهـو كافـر، كذلـك مـن اشـترك في جمعيـة عالميـة كالماسـونية أو اعتنـق فلسـفة مخالفـة كالوجوديـة أو البرجماتيـة كافـر.

الحكـم بتكفيـر الحـكام وجاهليـة المجتمـع واعتبـاره دار حـرب. جـواز العمـل الحزبـي الإسـلامي والمسـاهمة من خلاله في الانتخابات ودخول البرلمان والمشـاركة في الوزارات إذا كان صريحـاً بأنـه يسـعى عـن هـذا الطريـق للوصـول إلـى السـلطة وتحويـل الدولـة إلـى دولـة إسـلامية. يجـوز للمسـلم أن يدخـل في مختلـف اختصاصـات الدولـة بأمـر مـن الجماعـة الإسـلامية ويسـتغل منصبـه لمسـاعدة الجماعـة للحصـول علـى السـلطة أو التخفيـف عنهـا في حالـة المحنـة أو إفادتهـا بـأي طريـق ولا مانـع أن يصبـح وزيـراً حتـى مـع حاكـم طاغيـة إذا كان بهـذه النيـة.

كل من ينفذ أوامر الدولة الكافرة ضد الإسلام والحركة الإسلامية فهو كافر. في حالة وجود مرشح إسلامي وأمامه مرشح اشتراكي أو قومي أو شيوعي وانتخب الفرد غير الإسلامي فإنه يكون كافراً بهذا الموقف. الذين يحاربون دعاة الإسلام لأنهم يمزجون الدين بالسياسة كفار لأنهم قصروا الإسلام على جانب وكفروا بالجوانب الأخرى. المعارضون لأحكام الإسلام الذين يتهمون الدين بالتخلف والرجعية كفار، كذلك الذين يعترضون على حكم من أحكام الله ولا يرضون عنها مثل الذين يعترضون على الإسلام ويتهمونه بالتخلف فإن هؤلاء غير راضين عن الإسلام أصلاً.

وأن تحية العلم والجندي المجهول والسلام الجمهوري من طقوس الجاهلية وهي صورة من صور الشرك.

العمـــــليات

تم تكليف مجموعة الإسكندرية بإعداد رسم كروكي عن مكانين محتملين، الهجوم الأول مجلس الشعب والثاني مبنى الاتحاد الاشتراكي على كورنيش النيل، وقد حضرت مجموعة من ستة أفراد من الأسكندرية منهم محمد علي خليفة وهاني الفرنواني وأنجزوا المطلوب. تم وضع الخطة البديلة بواسطة سرّية وكارم الأناضولي، وتعتمد على الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية بمهاجمة حرس بوابة الكلية في صمت لإدخال عدد كبير من الشباب إلى الكلية، ثم بعد ذلك الاستيلاء على الأسلحة والسيارات والمدرعات من الكلية الفنية العسكرية بمساعدة إخوانهم الطلبة داخل الكلية مستغلين صلاحياتهم كقادة مناوبين أثناء الليل، ثم التوجه بما حصلوا عليه إلى مقر الاتحاد الاشتراكي لمهاجمة السادات وأركان حكمه أثناء اجتماعهم.

وكبروفة للأحداث طلب سرّية من مجموعة الأسكندرية الحضور إلى القاهرة والتوجه إلى موقع العملية قبل بدء التحرك بيوم واحد وبعد حضورهم طلب منهم العودة والحضور في اليوم التالي. وأعد صالح سرية بيان الانقلاب بخطه، ويدعوا إلى قيام نظام جديد في مصر يقضي على الفساد، ويدعم الإيمان والأخلاق والفضيلة، ويضمن الحريّات، وتم تذييل البيان بتوقيع د/ صالح سرّية رئيس الجمهورية.

ومع بداية التحرك تسلل اثنين من التنظيم، أحدهما توجه إلى وزارة الداخلية والثاني إلى رئاسة الجمهورية وقاما بالإبلاغ عن الخطة، وبعد مرور وقت طويل من عدم التصديق والتحقيق معهم، توجهت قوة صغيرة من الأمن المركزي إلى كلية الفنية العسكرية ليتم إجهاض الهجوم في بدايته، ويتم القبض على قياداته، وعلى رأسهم صالح سرية الفلسطيني، وأجريت لهم محاكمة سريعة، حاولت السلطات الأمنية إثبات تورط النظام الليبي في العملية، وحاولت النيابة أن تزج باسم حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية فيها، ولكن ربط الحركة بأي قوى خارجية أو داخلية باءت بالفشل.

الحكم على أفراد التنظيم

صدر الحكم بإعدام صالح سرّية وكارم الأناضولي وطلال الأنصاري -قرر السادات تخفيف الحكم الصادر عليه بالإعدام إلى المؤبد نتيجة وساطة والده الشاعر السكندري عبد المنعم الأنصاري- وبأحكام بالسجن على عشرات منهم، وطويت صفحة من تاريخ أول تنظيم إسلامى جهادي انقلابي في مصر. مع إنتهاء العملية بالفشل وإعدام القيادات حاول أحد قيادات التنظيم -أحمد صالح- والذي حوكم بالبراءة إعادة تجميع من تبقى والاستمرار في الحركة ولكن تم القبض على معظم من تبقى منهم عام ١٩٧٧م فيما عرف بتنظيم الجهاد ليعود مرة أخرى مصطفى يسرى لمحاولة الاستمرار بالباقين منهم.

تنظيم التكفير والهجرة

تنظيم «جماعة المسلمين» أو «التكفير والهجرة»

أسسها شكري أحمد مصطفي..

من مواليد أبو خرص مركز أبو تيج أسيوط ١ يونيو ١٩٤٢. هو مؤسس جماعة المسلمين أو جماعة الدعوة والهجرة والتي سماها الإعلام جماعة التكفير والهجرة، كان متزوجاً من شقيقة الأخواني محمد صبحي مصطفى. كان الشاب شكري مصطفى متعاطفاً مع جماعة الإخوان المسلمين في الستينات من القرن العشرين ولذلك تم

القبض عليه ضمن الإخوان المسلمين فى قضية قلب نظام الحكم وسجن ابتداءً من عام ١٩٦٥ وحتى خروجهم من السجن بعد موت عبد الناصر.

وشكري مصطفى هو إخواني منشق فكره التكفير: ويعتمد على أفكار التكفير التي ذكرها سيد قطب، فهو تكفير المجتمع حتى وإن كان كل من فيه مسلمون طالما هم لا يعودون الى شرع الله وإلى تحكيم شريعة الله فهم كفار مهما نطقوا الشهادتين أو أدوا الأركان الخمسة.

● من هم الكفار عند شكري مصطفى؟

١. كل من يرتكب معصية هو كافر وكل معصية هي شرك.

٢. ضرورة تأدية كل الفرائض وإذا نقص فرض واحد فقد أحبط الجميع.

٣. كل مسلم بلغته دعوة جماعة المسلمين ولم ينضم فهو كافر.

٤. الكافر عقابه القتل فإن أصل الحكم في الكافر أنه حلال الدم والمال والعرض.

أما فكرة الهجرة كما شرحها شكري مصطفى:

١. هجرة ما نهى الله عنه من آلهة تعبد غير الله وهجرة المعاصي التي نرتكبها.

٢. هجرة معابد غير المسلمين. المسلم عند شكري مصطفى هو المنتمي لجماعة المسلمين فقط.

٣. هجرة العادات والتقاليد والملابس والأزياء ودور اللهو والنوادي واعتزال الناس.

٤. هجرة الوطن كله لأرض لا يعبد فيها إلا الله ونتبرأ من كل شيء فيها فتنزل اللعنات على المجتمع الكافر الماجن وينجو فقط جماعة المسلمون

٥. هجرة مصر حتى يتمكنوا من الإعداد في أرض آخرى للعودة ومقاتلة الكفار ومهاجمة النظام للاستيلاء على الحكم بالقوة فالإسلام هو دعوة تنتشر ثم

هجرة أرض الكفار لأرض آخرى -قد تكون صحراء سيناء مثلا- لا يعبد فيها إلا الله ثم إعداد لقتال الكفار ثم عودة وجهاد وقتال الكفار.

الصلاة في المساجد

المساجد كلها حرام لأنها مساجد «ضرار» فلا نعرف نية بانيها ومصدر أمواله وبالتالي فالمساجد الأربعة الصحيح الصلاة فيها هي المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجد قباء والمسجد النبوي وبالتالي أسقط شكري مصطفى أمير الجماعة فريضة صلاة الجمعة لأن المساجد «ضرار» ولأن شرع الله ليس قائما بصورة كلية تامة ولابد من الجهاد أولا واستلام السلطة وإقامة شريعة الله كاملة ثم الصلاة في المساجد!

وذلك تأثراً بأستاذه سيد قطب الذى حرم صلاة الجمعة فى المساجد طالما لا يوجد خليفة للمسلمين!

الخدمة العسكرية

حرضت الجماعة أعضائها على الهروب من أداء الخدمة العسكرية فهو جيش يحمى المجتمع الكافر ويحمى حكام طغاة لا يقيمون شرع الله ويحمى أرض الكفار أما في حالة حدوث غزو خارجي للدولة يتوجب فرار أعضاء الجماعة للإعداد والتمكن ثم العودة للسلطة ثم مقاتلة العدو الوافد!

اباحت الجماعة أن تهجر الزوجة زوجها إذا ارادت أن تنضم للجماعة بدون طلاق ثم تتزوج من غيره بشرط أن يكون من أعضاء جماعة المسلمين (التكفير والهجرة). فكرٌ أعوج قبيح متطرف بصورة فجة!

طارد جهاز أمن الدولة جماعة المسلمين واعتقل منهم أعضاء كثيرون فاختطفوا الشيخ الذهبي يوم ٤ يوليو ١٩٧٧ وساوموا على إطلاق سراحه بشرط الإفراج عن أعضاء جماعتهم ولكن تم القبض عليهم وإعدامهم مع شكري مصطفى في نوفمبر ١٩٧٧.

وكان جزء من النص القانوني للإتهام «اشتركوا في اتفاق جنائي لمحاولة قلب وتغيير دستور الدولة ونظامها الجمهوري وشكل الحكومة بالقوة بأن أقاموا تنظيما سريًا يدعو إلى فرض الجهاد ضد نظام الحكم القائم والقضاء علية بالقوة بدعوى تعارض هذا النظام مع أحكام الشريعة الإسلامية.»

لم تتوانى الجماعات مهما اختلفت اسمائها في ارتكاب الجرائم مثل القتل والخطف وترويع المواطنين والإرهاب والذريعة الوصول للحكم وتطبيق شريعة الله.

إن الإسلام ممن استغله لمصالحه براء. والحمد لله على نعمة الاسلام وكفى بها نعمة.

اغتيال السادات ١٩٨١

دبرت الجماعة الإسلامية بالإشتراك مع تنظيم الجهاد، حيث أفتى عمر عبد الرحمن وهو مفتى الجماعة الإسلامية بقتل السادات، وقام عبود الزمر وهو ضابط مخابرات حربية سابق وهارب من أجهزة الأمن بوضع خطة الإغتيال. بدأ العرض العسكري في ٦ أكتوبر ١٩٨١م الساعة ١١ وجلس الرئيس السادات وإلى يمينه نائبه محمد حسني مبارك، ثم الوزير العُماني شبيب بن تيمور مبعوث السلطان قابوس، وإلى يساره المشير عبد الحليم أبو غزالة وزير الدفاع ثم سيد مرعي، ثم عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر في ذلك الوقت. كان الحاضرون يستمتعون بمشاهدة العرض، خصوصاً طائرات «الفانتوم» وهي تمارس ألعاباً بهلوانية في السماء، ثم انطلق صوت المذيع الداخلي «الآن تجئ المدفعية». وتقدم قائد طابور المدفعية لتحية المنصة، وحوله عدد من راكبي الدراجات النارية، وفجأة توقفت إحدى الدّراجات بعد أن أصيبت بعطل مفاجئ، ونزل قائدها وراح يدفعها أمامه، لكن سرعان ما انزلقت قدَمه، ووقع على الأرض، والدّراجة فوقه فتدخّل جندي كان واقفاً إلى جوار المنصة، وأسعفه بقليل من الماء.

كل هذا حدث أمام الرئيس والجمع المحيط به، وأسهمت تشكيلات الفانتوم وألعابها في صرف نظر الحاضرين واهتمامهم، لذا عندما توقفت سيارة خالد

الإسلامبولي، فيما بعد ظُنّ أنها تعطّلت، كما تعطّلت الدّراجة النارية. في تمام الثانية عشرة وعشرين دقيقة، كانت سيارة الإسلامبولي، وهي تجرّ المدفع الكوري الصنع عيار ١٣٠مم، وقد أصبحت أمام المنصة تماماً، وفي لحظات وقف القناص حسين عباس، وأطلق دفعة من الطلقات، استقرت في عنق السادات، بينما صرخ خالد الإسلامبولي بالسائق يأمره بالتوقف، ونزل مسرعاً من السيارة، وألقى قنبلة ثم عاد وأخذ رشاش السائق وطار مسرعاً إلى المنصة. كان السادات قد نهض واقفاً بعد إصابته في عنقه وهو يصرخ، بينما اختفى جميع الحضور أسفل كراسيهم. وتحت ستار الدخان، وجّه الإسلامبولي دفعة طلقات جديدة إلى صدر السادات، في الوقت الذي ألقى فيه كل من عطا طايل بقنبلة ثانية، لم تصل إلى المنصة، ولم تنفجر، وعبدالحميد بقنبلة ثالثة نسي أن ينزع فتيلها فوصلت إلى الصف الأول ولم تنفجر هي الآخرى. بعدها قفز الثلاثة وهم يصوّبون نيرانهم نحو الرئيس. وكانوا يلتصقون بالمنصة يمطرونه بالرصاص. سقط السادات على وجهه مضرجاً في دمائه، بينما كان سكرتيره الخاص فوزي عبد الحافظ يحاول حمايته برفع كرسي ليقيه وابل الرصاص، فيما كان أقرب ضباط الحرس الجمهوري، عميد يدعى أحمد سرحان، يصرخ بهستيريا «إنزل على الأرض يا سيادة الرئيس»، لكن صياحه جاء بعد فوات الأوان. صعد عبد الحميد سلم المنصة من اليسار، وتوجّه إلى حيث ارتمى السادات، وأطلق عليه دفعة جديدة من الطلقات، فيما ارتفع صوت الأسلامبولي يؤكد أنهم لا يقصدون أحداً إلا السادات. بعدها انطلقوا يركضون عشوائياً، تطاردهم عناصر الأمن المختلفة، وهي تطلق النيران.

لم يكن السادات هو الضحية الوحيد للحادث فقد سقط سبعة آخرون هم:

- اللواء أركان حرب حسن علام.
- خلفان ناصر محمد (من الوفد العماني).
- المهندس سمير حلمي إبراهيم.

- الأنبا صموئيل.
- محمد يوسف رشوان (المصور الخاص بالرئيس).
- سعيد عبد الرؤوف بكر.
- شانج لوي (صيني الجنسية).

مجموعة الاغتيال:

- خالد الإسلامبولي: ضابط عامل باللواء ٣٣٣ مدفعية، هو المخطط والمنفذ الرئيسي لعملية الاغتيال، ترجل من سيارته أثناء العرض بعد إجبار سائقها -والذي لم يكن مشتركا في العملية- على إيقاف السيارة، ثم اتخذ طريقه بشكل مباشر نحو المنصة وهو يطلق النار بغزارة على الصف الأول مستهدفاً السادات، وبالفعل استطاع توجيه رصاصات نافذة إلى صدر السادات بشكل عام وقلبه بشكل خاص وكانت من أسباب وفاته، أصيب في ساحة العرض وتم القبض عليه ومحاكمته ومن ثم إعدامه رمياً بالرصاص بعد ذلك. وهو الذي اختار فكرة الهجوم بشكل مباشر على المنصة من الأمام من خلال عدة بدائل كانت مطروحة آنذاك منها مهاجمة المنصة بواسطة إحدى طائرات العرض العسكري أو مهاجمة استراحة السادات أثناء إقامته فيها.

- عبود الزمر: ضابط بالمخابرات الحربية شارك في تخطيط و تنفيذ عملية الاغتيال وهو الذي اختار فكرة الهجوم بشكل مباشر على المنصة من الأمام من خلال عدة بدائل كانت مطروحة آنذاك منها مهاجمة المنصة بواسطة إحدى طائرات العرض العسكري أو مهاجمة استراحة السادات أثناء إقامته فيها. وصدر عليه حكمان بالسجن في قضيتي اغتيال السادات (٢٥ عاما) وتنظيم الجهاد (١٥ عاما) وقد قررت المحكمة في ٢٠٠٧ التنحي عن النظر في الاستشكال الذي تقدم به عبود الزمر.

- حسين عباس: قناص بالقوات المسلحة، كان ضمن فريق الاغتيال المنفذ للعملية، وكان يجلس فوق سيارة نقل الجنود التي كانت تقل فريق التنفيذ، وانتظر حتى حصل على فرصة اقتناص السادات وبالفعل أطلق طلقة واحدة اخترقت رقبة الرئيس الراحل وكانت من الأسباب الرئيسية لوفاته، وبعد قنص السادات ترجل من السيارة وتابع ما حدث لزملائه من خلال تسلله إلى منصة المشاهدين ثم رحل كأي شخص عادى ولم يتم القبض عليه إلا بعد ثلاثة أيام من خلال اعترافات زملاؤه تحت التعذيب.

- عطا طايل: ملازم أول مهندس احتياط.

- عبد الحميد عبد السلام: ضابط سابق بالدفاع الجوي.

١- لماذا قررت المخابرات الحربية فجأة في منتصف أغسطس رفع اسم الملازم أول خالد الإسلامبولي من قوائم الممنوعين من الاشتراك في الاستعراض العسكري لأسباب أمنية. لقد صدر قرار من مدير المخابرات الحربية باشتراك الإسلامبولى في الاستعراض. ومهمة خالد في الاستعراض كضابط في اللواء ٣٣٣ مدفعية وكما تعود أن ينفذها قبل حرمانه من الاشتراك في الاستعراض قبل ٣ سنوات هي الجلوس في كابينة شاحنة تجر مدفع ميداني بينما يجلس في صندوق الشاحنة ٤ جنود من ذات اللواء.

٢- بعد رفع اسم الإسلامبولى من قائمة الممنوعين قامت بعض العناصر التابعة للجماعة الإسلامية بالاتصال بالإسلامبولى لتبلغه بأنه قد وقع عليه الاختيار لتنفيذ «عملية استشهادية» قامت هذه العناصر بتقديم ٤ رجال للإسلامبولى على أنهم من سيعاونوه في إتمام المهمة الموكلة له. والشركاء الأربعة أتموا الخدمة العسكرية كما أن أحدهم وهو حسين على كان قناصاً بالجيش وبطل الرماية به. الخطة كانت تتطلب أن يقوم الاسلامبولى بوضع شركاءه الجدد في صندوق الشاحنة بدلاً من الجنود الأصليين في يوم الاستعراض.

٣- كان الجناة الأربعة يقومون بالفعل بالتدريب في الصحراء على اغتيال السادات في المنصة. والغريب أن هذه التدريبات كانت تتم تحت إشراف وحماية أجهزة الأمن بدليل ما أقر به النبوي إسماعيل بأن أجهزة الأمن كان لديها شريط فيديو يصور هذه التدريبات.

٤- قبل الاستعراض بثلاثة أيام صرف الإسلامبولى الجنود الأربعة الذين كانوا من المفروض أن يشتركوا معه في الاستعراض بأن أعطى كل منهم أجازة لمدة ٤ أيام ثم أدخل الجناة الأربعة الوحدة منتحلين صفة الجنود الأربعة الأصليين و ظلوا هناك حتى يوم الاستعراض حيث اشتركوا في التدريبات النهائية للاستعراض.

٥- كانت الذخيرة الحية وإبر ضرب النار تنزع من الأسلحة التي كانت تصرف للمشاركين في الاستعراض. و كإجراء أمنى إضافي تم إقامة ١٠ نقاط تفتيش بواسطة الشرطة العسكرية والمخابرات الحربية على طول الطريق المؤدي للاستعراض للتأكد من عدم وجود إبر ضرب النار وذخيرة حية. وبالرغم أن الشاحنة التابعة للجناة كانت محملة بالقنابل والذخيرة الحية وإبر ضرب النار إلا أن الشاحنة تمكنت من المرور عبر كل نقاط التفتيش.

٦- المقدم ممدوح أبو جبل الذي أمد الإسلامبولى ورفاقه بإبر ضرب النار والذخيرة والقنابل تبين بأنه ضابط بالمخابرات الحربية أي أن المخابرات هي التي أمدت الإسلامبولى بالأسلحة لقتل السادات و لهذا لم يحاكم أبو جبل وتوارى عن الأنظار.

٧- بالنظر إلى الوضع الأمني المتردي في البلاد في ذلك الوقت فقد تقرر أن يرتدي كل من السادات ومبارك وأبو غزالة الدرع الواقي من الرصاص تحت زيهم العسكري التي كان السادات قد صممه بنفسه على الطراز النازي. فضلا عن ذلك فان حراس السادات البالغ عددهم ١٥٠ فرداً جعلوا من المستحيل على أي قاتل محتمل أن يقترب من السادات حتى محيط دائرة نصف قطرها ٣٠ متر دون أن يقتل أو يقبض عليه. كما أن سور المنصة يوفر للسادات حماية ممتازة في حالة ما

إذا تم إطلاق النار عليه. فإذا انبطح السادات خلف هذا السور فلا يمكن للجناة الذين يقفون على الناحية الأخرى من السور إصابة السادات لأن ارتفاع السور ١٨٠ سم و عرضة ٨٠ سم. والأهم من ذلك كله كيف يضمن مبارك وأبو غزالة عدم اصابتهما وهما يجلسان على يمين و يسار السادات.

٨- لعب محمد عبد السلام فرج دوراً كبيراً في عملية اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات في ٦ أكتوبر عام ١٩٨١م، رغم أنه لم يكن من ضمن المجموعة التي نفذت العملية ولكن ما كشفه المتهم الأول خالد الإسلامبولى قائد العملية في ملفات التحقيقات، أكد أنه لولا عبد السلام فرج ماكانت هناك عملية من الأساس حينما قال: «إنه ذهب إلى محمد عبد السلام فرج، ليبلغه بأنه عازم على قتل السادات في يوم العرض العسكرى في السادس من أكتوبر، وأنه حصل على موافقته وأمده بالرجال والسلاح.»

٩- حيث قام محمد عبد السلام فرج باستدعاء المجموعة التي شاركت خالد في اغتيال السادات، فقد أحضر عطا طايل من الدلنجات، وحسين عباس، وعبد الحميد عبد السلام، وهو أيضاً الذي أحضر ثلاث إبر لضرب النار من المقدم مهندس ممدوح أبو جبل، فعندما ظهرت فكرة خالد الإسلامبولي وعرضها على محمد عبد السلام فرج، تردد الأخير في البداية في الموافقة عليها، وخشى أن تؤدى إلى كشف التنظيم. لكنه وافق في نهاية الأمر.

١٠- استشار في البدء المسؤول العسكري وهو عبود الزمر، وكان مقدماً في المخابرات، فرفضها لأنها ستكشف التنظيم وهو لا يريد ذلك لأنه يعتقد باستمرار المشروع على الأقل خمس سنوات، ليجمع أكبر عدد من الشباب. لكن حصل إصرار على استغلال هذه الفرصة على أساس أن المنفذين سيقتلون بدورهم. إذ قال خالد الإسلامبولي الحراس سيقتلونه هو وعطا طايل وعبد الحميد عبد السلام وحسين عباس.

وبالتالي لن يُكتشف التنظيم. وعلى هذا الأساس وافق عبود الزمر في نهاية الأمر ومضى في الخطة.

وهكذا نُفّذت العملية وتم اغتيال السادات.

مذبحة أسيوط ١٩٨١

وتلت قصة هجوم تنظيم الجهاد على مديرية أمن أسيوط، مذبحة العيد بأسيوط، عملية اغتيال السادات سماها البعض مذبحة. واستقر الباحثون على تسميتها بأحداث أسيوط. وقال عنها أيمن الظواهري الرجل الثاني في تنظيم القاعدة إنها «انتفاضة عاطفية» ذات نصيب متواضع من التخطيط فقد جاءت متأخرة عن قتل السادات بيومين.. كما كانت تستند إلى خطة غير واقعية أما الدكتور عمر عبد الرحمن فقد أفتى بأن على الذين شاركوا في تلك الأحداث أن يصوموا ستين يوماً للتكفير عن ذنبهم.. باعتبار أن عمليات القتل التي ارتكبوها تندرج تحت بند القتل الخطأ ولنبدأ من النقطة التي أعقبت اغتيال الرئيس المصري أنور السادات فبعد نجاح خالد الإسلامبولي وعبد الحميد عبد السلام وعطا طايل حميدة وحسين عباس -ومن ورائهم عبد السلام فرج مخططاً ومعاوناً ومعداً- في تنفيذ عملية اغتيال السادات.. اجتمع على الفور في أحد أحياء أسيوط مجلس شورى الوجه القبلي بزعامة كرم زهدي تم الاتفاق في هذا الاجتماع على مواصلة خطة قلب نظام الحكم باستهداف خمسة أهداف للأمن في أسيوط هي مديرية الأمن هناك وقسم ثان والدورية اللاسلكية ومباحث أمن الدولة والمباحث الجنائية ونقطة شرطة إبراهيم، ثم الزحف بعد ذلك لمحافظات الوجه البحري وتثوير الجماهير.. وصولاً إلى القاهرة التي سيكون عناصر الجهاد قد سيطروا فيها على الإذاعة والصحف والمناطق العسكرية الحساسة كان الهدف النهائي الذي سعى إليه كرم زهدي -كما تقول مراجع عدة- واضحاً: قصر عابدين.. فما الذي جرى على أرض الواقع؟

كانت الساعة تشير إلى الثالثة صباح يوم الثامن من أكتوبر عام ألف وتسعمئة وواحد وثمانين. وبينما كانت دورية مرور ليلية تقوم بعملها المعتاد في مدينة أسيوط للتأكد من استتباب الأمن بمناسبة عيد الأضحى.. ضبطت هذه الدورية ثلاثة رجال كانت ضمن مجموعة تركب سيارة ربع نقل.. اشتبهت فيها الدورية وكانوا من أفراد جماعة الجهاد.. اقتيد هؤلاء الرجال الثلاثة إلى قسم ثان أسيوط وتم إخطار مساعد المدير لشؤون الأمن بما حدث.. فأودع الرجال الثلاثة حجز القسم بدون مناقشتهم ومعرفة ظروف ضبطهم وهويتهم أو حتى بدون معرفة أسمائهم وبعد حوالي ساعة طرق أحدهم بشدة على باب غرفة الحجز من الداخل وأخذ يصرخ قائلاً: مصيبة ستحدث أثناء صلاة العيد بعد ساعتين. أريد مقابلة المأمور. وكان وقتها مأمور القسم العقيد محمود سلامة. أجاب الضابط المناوب: اخرس يا ولد.. الصباح رباح.. عندما يأتي البيه المأمور قل له ما تريد. كان الشخص المضبوط يصر على الإبلاغ بما سيحدث في الساعة السادسة صباحاً.. لأنه كان مكلفاً بالعمل غير أنه بعد إلقاء القبض عليه آثر الإبلاغ عما سيحدث ليستفيد من نص القانون الذي يعفيه من المسؤولية عندما تقع الأحداث لكن هذا الصباح لم يكن «رباح» كما توقع الضابط المناوب ففي الساعة السادسة صباحا وقفت سيارة بيجو لونها الأصلي أبيض مطلية بشكل رديء باللون الأزرق ورقم لوحتها ١٢٦٠٠ ملاكي القاهرة مكتوبة باليد.. وسيارة أخرى فيات جديدة تحمل أرقام ١١٧٢» ملاكي سوهاج أمام مبنى مديرية الأمن نزل من السيارتين ثمانية مسلحين وفتحوا نيران أسلحتهم الآلية على جنود الحراسة ولم تتح لهم الرد بإطلاق النار من المفاجأة وسقط الملازم أول أحمد وحيد عند مدخل المديرية. ووجدوا العميد شكري رياض مساعد المدير -وكان مرتدياً بيجامة في استراحة المديرية- فأردوه قتيلاً.. كما قتلوا بالرشاشات ستة عشر سائقاً واثنين وثلاثين جندياً.. واتخذوا مواقع فوق سطح المبنى واستولوا على ثلاثين بندقية سلاح ومدفعين من طراز برن.. وتشير المعلومات إلى أن الرائد حسن الكردي كان الناجي الوحيد من مجزرة مديرية الأمن. في هذه الأثناء كانت هناك سيارات تجوب شوارع المدينة تحمل مجموعات مسلحة تطلق النار على جنود الحراسة وعلى

إطارات وسيارات رجال الشرطة. كما اتجهت مجموعة من المسلحين إلى مبنى مركز شرطة قسم ثانٍ في شرق أسيوط لاحتلاله وكان موجوداً به مئة وأربعة وسبعون جندياً وثلاثون ضابطاً في الساعة السادسة صباحاً شنت مجموعة ترتدي زي عساكر الجيش هجومها على مركز شرطة قسم أول في غرب أسيوط وكان يضم مئة واثنى عشر جندياً وأربعة ضباط.. كان المهاجمون في البداية سبعة مسلحين.. خرج معظم أفراد الوحدة لحراسة المساجد فقاومهم الملازم أول عصام مخلوف ضابط مباحث القسم بطبنجة لا تستخدم إلا كتسليح شخصي للضباط.. وكان من الصعب مواجهة البنادق الآلية بطبنجة فلقي مصرعه في ثوان.. قتل واحد منهم وأصيب اثنان.. سحبوا القتيل وجروا إلى بيت المواطن سعيد محمد عمر أمام مبنى القسم على بعد حوالي عشرين متراً.. وظل تبادل النيران لمدة ثلاث ساعات.

١- وحسب شهادة العقيد فتحي المسلمي مأمور القسم فإن الأحداث أخذت أكثر من منعطف.. إذ يقول: بعد حضور قوات الأمن المركزى تعاملت قوات الأمن معهم بالأسلحة الآلية والقنابل المسيلة للدموع وكانت المجموعة المهاجمة قد أصبحت عشرين شخصاً ولم يستسلم غالبيتهم بل إن معظمهم فر فى سيارة جيب تحمل رقم ستة مطافئ أسيوط وحولوها إلى قاعدة حصينة لإطلاق الرصاص ولكن عند غروب الشمس دانت لرجال الأمن السيطرة على الموقف. وكان وزير الداخلية النبوي إسماعيل قد أرسل طائرتي هليكوبتر حامتا حول المواقع التي احتلها المهاجمون لإفقادهم الأمل في استمرار تمسكهم بالمواقع وتهديدهم بتدخل قوات كبيرة من الجيش وإعلان حالة الطوارىء في المدينة. واتجهت مجموعة ثالثة من المهاجمين إلى منطقة مسجد ناصر.. ومباحث التموين الذي كان يحوي مئة وأربعة عشر جندياً وثلاثة ضباط.. كانت المجموعة الأخيرة مركز إمداد باقى المجموعات بالرجال والسلاح والذخيرة.. وكان أعمار المشتركين فى الهجوم ما بين ثمانية عشر وستة وعشرين عاماً وعددهم ما بين ستين وسبعين رجلاً.. وكانت مجموعات الهجوم المؤثرة ما بين سبعة وثمانية أفراد.. منهم خمسة وثلاثون طالب ثانوي وجامعي وثلاثة تجار وثلاثة مدرسين وتسعة من

الحرفيين خرج أعضاء تنظيم الجهاد في مجموعات صغيرة.. تكونت المجموعة الأولى من فؤاد حنفي وعلي الشريف وعاصم عبد الماجد وغضبان سيد ومحمد حسن الشرقاوي.. استقلت هذه المجموعة سيارة بيجو قاصدين شارع النميس وجامع ناصر. وبعد أن انتهت مهمتهم هناك انطلقوا إلى مبنى المديرية أصيب عاصم عبد الماجد بثلاثة أعيرة نارية في ركبته اليسرى والساق اليمنى فعجز عن الحركة.. وتولى القيادة من بعده علي الشريف الذي أصيب بدوره أيضاً بثلاث رصاصات نفذ اثنان منهما بالجانب الأيسر. وعندما عجز عن الحركة تماماً تولى القيادة من بعده فؤاد حنفي الذي رأى خطورة الموقف فانسحب من مبنى المديرية وهرب واستولى على سيارة لوري شرطة وتمكن من نقل زملائه والمصابين بداخلها.. وركب العربة هو وزملاؤه بعد أن لبسوا السترات العسكرية واتجهوا إلى قسم ثانٍ أسيوط فألقوا عليه القنابل المسيلة للدموع وأطلقوا دفعات من رصاص أسلحتهم الأوتوماتيكية في غضون ذلك خرجت مجموعة أخرى بقيادة ناجح إبراهيم مكونة من تسعة أفراد توجهوا مترجلين إلى مباحث التموين وأطلقوا النيران على من في المبنى ثم توجهوا إلى قسم أول أسيوط واستولوا على ما به من ذخائر.. وهناك أصيب ناجح وبعض زملائه. وعندما رأى ناجح أنهم لايستطيعون المقاومة هرب بواسطة دراجة بخارية أحضرها له أحمد السيد رجب من جهته.

استقل كرم زهدي وعصام دربالة وغيرهما سيارة فيات ١٢٥ وكان السائق هو خالد حنفي ثم توجهوا إلى منطقة الجمعية الشرعية وانضموا إلى زملائهم.. وحاول عصام دربالة إلقاء قنبلة فانفجرت فيه وتناثرت شظاياها في جسده فنقل إلى السيارة وتوجهوا إلى طريق الغنايم قاصدين إلى الجبل. وشعرت الشرطة هناك بهم فألقى النقيب أحمد جابر مكارم القبض على كرم زهدي وعصام دربالة وأرسلهما إلى المستشفى.

قوات الأمن المركزي كانت مسلحة بالعصي والدروع.. وبالتالي كانت الخسائر البشرية كبيرة: مقتل مئة وثمانية عشر شخصاً بينهم خمسة ضباط ومائة جندي

واثنى عشر من المواطنين الذين شاء حظهم وجودهم فى هذه المناطق وقد كانوا في طريقهم لأداء صلاة العيد. كما أصيب المئات من المواطنين بعضهم كانت إصابته خطرة وتوفي بعد ذلك أدت إصابة دربالة إلى بتر يده اليمنى.. وبترت قدم عاصم عبد الماجد بسبب الإصابة.. كما أصيب علي الشريف في بطنه إصابات شديدة.. وأصيب أيضاً كرم زهدي.. مما أدى إلى فشل المخطط وإلقاء القبض على قادة الهجوم أحياء وترحيلهم في طائرة خاصة إلى القاهرة بصحبة وزير الداخلية وفي القضية المعروفة بتنظيم الجهاد صدرت أحكام بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة عشرين عاماً على كرم زهدي وعاصم عبد الماجد وفؤاد الدواليبي. أما ناجح إبراهيم وعصام دربالة وعلي الشريف وأسامة حافظ فكانت أحكامهم تقضي بالسجن لمدة عشر سنوات.

●●●